محرم، محمد، مجلة القدس للبحوث الأكاديمية-
نسخة العلوم الإنسانية والاجتماعية 2 (1): 24-10، 2026
DOI: https://doi.org/10.47874/kzz2zt84

ما هي الإنسانيات الزرقاء (Blue Humanities)؟ نحو أفق معرفي جديد في دراسة الماء والسياسة والثقافة

محمد محرم

الملخص

يسعى هذا البحث إلى سدّ فجوة واضحة في الأدبيات الأكاديمية العربية، حول «الإنسانيات الزرقاء» (Blue Humanities)، وهو حقل معرفي شهد توسعاً سريعاً وملحوظاً في الجامعات الغربية خلال العقدين الأخيرين. ويُعدّ هذا البحث من أوائل الدراسات باللغة العربية التي تقدّم مدخلًا مفاهيميًا ونظريًا إلى هذا المجال الناشئ، منطلقاً من سؤال مركزي هو: كيف يمكن للإنسانيات الزرقاء أن تعيد توجيه دراسة الماء والسياسة والثقافة في السياق العربي؟. ويعتمد البحث منهجية نظرية– مفاهيمية، تجمع بين مراجعة نقدية للأدبيات المؤسسة في الحقل، وتحليل أمثلة عربية مختارة، تعدُّ نماذج استكشافية وليست دراسات حالة مكتملة. ويعيد هذا الحقل توجيه الدراسات الإنسانية والاجتماعية نحو الماء والمحيطات؛ باعتبارها فضاءات مركزية؛ لفهم التاريخ والثقافة والسياسة. كما ينطلق من نقد مركزية اليابسة والدولة القومية في التحليل الأكاديمي، مبيّنًا كيف يتيح التفكير عبر الماء إعادة قراءة العلاقات بين الإنسان والبيئة والاقتصاد والسلطة. ويستعرض أبرز الأطر النظرية التي يقوم عليها هذا الحقل، مثل ما بعد الإنسانية، والأنطولوجيات الرطبة، والنسوية المائية، والنقد البيئي المادي، والتفكير بالماء/ مع الماء، والتفكير الأرخبيلي، والتفكير المحيطي/ الكوكبي. ثم يناقش البحث التطبيقات الاجتماعية والسياسية للإنسانيات الزرقاء، مثل: قضايا المجتمعات الساحلية والمعارف الأصلية، والعدالة المائية، والجيوسياسة البحرية، والهجرة عبر البحار. ويختتم البحث بإبراز إمكانات توظيف هذا الإطار في قراءة السياق العربي من خلال نماذج مثل: القدس وغزة والبحر الأحمر. ومع ذلك، لا يدّعي البحث الإحاطة بجميع أبعاد الإنسانيات الزرقاء؛ بل يقدّم مدخلًا أوليًا، يفتح الباب أمام مزيد من الدراسات المستقبلية العربية في هذا الحقل؛ بغية الوصول نحو «إنسانيات زرقاء عربية» تضع الماء في مركز الاهتمام، وتُتيح فهمًا أعمق لجميع مجالات الحياة اليومية.

الكلمات المفتاحية: الإنسانيات الزرقاء، الجيوسياسة المائية، التفكير عبر الماء، الدراسات الثقافية الزرقاء، التفكير المحيطي، الإنسانيات الزرقاء العربية، النقد البيئي المادي.

What are/ is the Blue Humanities? Towards a New Epistemic Horizon in the Study of Water, Politics, and Culture

Mohammed Muharram

ABSTRACT

This article seeks to fill a clear gap in Arabic scholarship on the Blue Humanities, a field that has rapidly expanded and became increasingly institutionalized in Western academia over the past two decades. It represents one of the first academic texts in Arabic to offer a conceptual and theoretical introduction to this emerging field, beginning from a central question: how can the Blue Humanities reorient the study of water, politics, and culture in the Arab context? The study adopts a theoretical-conceptual methodology that combines a critical review of foundational scholarship in the field with an analysis of selected Arab examples as exploratory models rather than fully developed case studies. The field of the Blue Humanities reorients the humanities and social sciences toward water and oceans as central spaces for understanding history, culture, and politics. It begins by critiquing the dominance of land-based and nation-state frameworks in academic analysis and demonstrates how thinking through and with water enables new interpretations of the relationships between humans, environments, economies, and power. The article also outlines key theoretical frameworks that inform Blue Humanities, including posthumanism, wet ontologies, hydrofeminism, material ecocriticism, thinking with water, archipelagic thinking, and planetary thinking. It then explores the social and political applications of this field, addressing issues such as coastal communities and Indigenous knowledge, water justice, maritime geopolitics, and migration across seas. The study concludes by highlighting how this framework can contribute to rereading the Arab context through examples such as Jerusalem, Gaza, and the Red Sea. However, this study does not attempt to cover all dimensions of the Blue Humanities; rather, it offers an initial conceptual entry point that opens the door wide to further Arabic scholarship in this field, with the aim of advancing toward an "Arab Blue Humanities" that places water at the center of attention and enables a deeper understanding of all aspects of everyday life.

Keywords: Blue Humanities, hydro-politics, thinking with water, blue cultural studies, oceanic thinking, Arabic Blue Humanities, material ecocriticism.

الدكتور محمد محرم، أستاذ مساعد، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة ذمار، اليمن؛ وأستاذ مساعد زائر، جامعة بريمن، ألمانيا. للمراسلة: muharram@uni-bremen.de.
حقوق النشر 2026، جميع البيانات الواردة في هذا المقال محمية ويجب أخذ إذن استخدام عن طريق جامعة القدس، (www.alquds.edu).

Dr. Mohammad Moharram, Assistant Professor, Department of English Language and Literature, Dhamar University, Yemen, and Visiting Professor, University of Bremen, Germany. For correspondence: muharram@uni-bremen.de.
Copyright 2026, all data in this article is protected and permission for use must be obtained through Al-Quds University (www.alquds.edu).

المقدمة

تحتل المنطقة العربية موقعاً بحرياً استراتيجيًا استثنائياً في خريطة العالم؛ إذ تمتد شواطئها من المحيط الأطلسي غرباً إلى المحيط الهندي شرقاً، مروراً بالبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وخليج عدن وبحر العرب، فيما تخترقها أنهار أسّست الحضارات والمدن على مر التاريخ كالنيل ودجلة والفرات. وعلى امتداد آلاف السنين، شكّلت هذه الفضاءات المائية محوراً حيوياً للتجارة والهجرة والتبادل الثقافي والذاكرة الجماعية، ولم تكن يوماً مجرد خلفية جغرافية؛ بل كانت بنية حضارية أساسية في تشكّل الهوية والاقتصاد والسياسة. غير أن ثمة مفارقة صارخة تستدعي التأمل: فعلى الرغم من هذا الحضور المائي الاستثنائي في الجغرافيا العربية وفي تاريخها وأدبها ولغتها وصراعاتها، يكاد السياق الأكاديمي العربي يغيب كلياً عن حقل معرفي ناشئ يُعنى تحديداً بدراسة العلاقة بين الإنسان والماء والثقافة والسياسة، وهو حقل الإنسانيات الزرقاء (Blue Humanities). فقد تأسّس هذا الحقل في الأكاديميا الغربية منذ مطلع الألفية الثالثة، وراكم خلال عقدين أطراً نظرية وأدوات منهجية وحوارات معقدة ومتشعّبة تتقاطع فيها الدراسات الأدبية والتاريخية والجغرافية والبيئية والسياسية، متخذةً من البحر والنهر والمحيط فضاءات تحليلية لا مجرد خلفيات للأحداث. بيد أن مواضيعه تمركزت في معظمها حول سياقات أوروأطلسية وجنوب آسيوية وأوقيانوسية، في حين ظلّ العالم العربي بفضاءاته المائية الغنية وتاريخه البحري العميق على هامش هذه النقاشات، مُغيَّباً لا بالمعنى الحضاري بل على مستوى التأطير الأكاديمي والمفاهيمي.

من هذه المفارقة تنطلق إشكالية هذا البحث: كيف يمكن توطين الإنسانيات الزرقاء في السياق العربي؟ وما الذي يضيفه هذا التوطين إلى فهمنا للماء؛ بوصفه فضاءً للثقافة والسياسة والذاكرة والصراع في المنطقة العربية؟، وللإجابة عن هذا السؤال، يسعى البحث إلى تحقيق ثلاثة أهداف: أولها تقديم الإنسانيات الزرقاء، وعرض مفاهيمه وأطره النظرية الرئيسية للقارئ العربي، وثانيها استكشاف إمكانات توظيف هذه الأطر في قراءة سياقات عربية محددة، كغزة والقدس والبحر الأحمر وباب المندب؛ وثالثها الإسهام في تأسيس نقاش أكاديمي عربي حول الإنسانيات الزرقاء يُغني الحقل ذاته بمنظور ما بعد استعماري من الجنوب العالمي. وتتوزع مباحث هذا البحث على سبعة أقسام، يتناول الأول مقدمة الدراسة وإشكاليتها، ويعرض الثاني منهجية البحث وحدوده، فيما يستعرض الثالث حقل الإنسانيات الزرقاء ومساره من مركزية البر إلى أفق الماء، ويرصد الرابع أبرز أطره المفاهيمية والنظرية، ويناقش الخامس تطبيقاته وأبعاده الاجتماعية والسياسية، في حين يستكشف السادس حضور الإنسانيات الزرقاء في السياق العربي، من خلال نماذج القدس وغزة والبحر الأحمر وباب المندب، ليختتم القسم السابع بخاتمة تجمع خيوط البحث وتفتح آفاق الدراسات المستقبلية.

منهجية البحث وحدوده

يعتمد هذا البحث منهجية المراجعة النظرية-المفاهيمية النقدية، حيث يتناول الأطر المعرفية والمفاهيمية والنظرية التي يقوم عليها حقل الإنسانيات الزرقاء بالعرض والتحليل والتقييم النقدي، ولا يشمل البحث الميداني أو الكمي. ويُستند في اختيار هذه المنهجية إلى ثلاثة مبررات أساسية: أولها أن حقل الإنسانيات الزرقاء يعدّ حقلًا ناشئًا لا يزال شبه غائب في الكتابة الأكاديمية العربية، مما يجعل تقديمه عبر مراجعة نظرية شاملة أمرًا ضروريًا قبل الشروع في أي بحث تطبيقي متخصص؛ وثانيها أن طبيعة هذه الدراسة مدخليةٌ معرفية تهدف إلى رسم خارطة مفاهيمية للحقل، وتحديد أطره الرئيسية واستكشاف إمكانات توطينه في السياق العربي؛ وثالثها أن المقاربة المفاهيمية النظرية تُتيح الجمعَ بين التحليل الأدبي والفلسفي والجيوسياسي، وهو ما يعكس الطابع متعدد التخصصات الجوهري لهذا الحقل. وتتألف هذه المراجعة من ثلاث خطوات إجرائية مترابطة: أولًا، تتبّع نشأة مصطلح الإنسانيات الزرقاء وتحوّلاته في الأدبيات الغربية الحديثة؛ ثانيًا، تنظيم المفاهيم المركزية في الحقل-كالأنطولوجيا الرطبة، والنسوية المائية، والتفكير مع الماء، والتفكير الأرخبيلي والمحيطي-ضمن خريطة نظرية واضحة؛ وثالثًا، اختبار إمكانات هذه الخريطة من خلال أمثلة عربية مختارة، هي القدس وغزة والبحر الأحمر/باب المندب؛ بوصفها حالات استكشافية لا دراسات حالة مكتملة.

وتعتمد هذه المراجعة على مصادر أولية من مؤسّسي الحقل ومنظّريه الرئيسيين، بالإضافة إلى مصادر ثانوية تشمل مقالات ومراجعات وأعمالًا جماعية محكّمة، وقد جرى اختيارها وفق معيارين: المركزية المفاهيمية في الحقل، والأثر المعرفي في تأسيسه أو توسيعه. غير أن لهذه المنهجية حدودًا واضحة: فهي لا تتضمن بحثًا ميدانيًا أو إثنوغرافيًا أو تحليلًا أرشيفيًا مفصلًا للحالات العربية، كما أنها لا تدّعي الإحاطة الشاملة بجميع أبعاد هذا الحقل الواسع والمتشعّب، وإنما تسعى إلى تقديم مدخل تأسيسي يبرّر الحاجة إلى تطوير هذا الحقل في السياق العربي، ويفتح المجال أمام دراسات مستقبلية أكثر تخصصًا وعمقًا.

ويمكن تنظيم الأسئلة التي تطرحها الإنسانيات الزرقاء ضمن خريطة مفاهيمية موجزة تتكوّن من أربعة محاور مترابطة، المحور الأول: أنطولوجي، ويسأل عن فاعلية الماء والكائنات البحرية والأنهار والجليد، في تشكيل الوجود الإنساني وغير الإنساني؛ والمحور الثاني: معرفي، ويهتم بما تعلّمته المعارف الأصلية والساحلية والبحرية عن التفكير مع الماء بدل التفكير عنه فقط؛ والمحور الثالث: سياسي– اقتصادي، ويركّز على السيادة البحرية، والاقتصاد الأزرق، والحصار، والموانئ، والمضائق، والبنى التحتية المائية؛ أما المحور الرابع: فهو ثقافي– جمالي، ويدرس السرديات البحرية، والفنون تحت الماء، وذاكرة الهجرة والعبودية والعنف البيئي. وبهذا التنظيم لا تظهر الإنسانيات الزرقاء بوصفها قائمة متفرقة من الموضوعات، بل بوصفها إطارًا تحليليًا يربط بين الوجود والمعرفة والسلطة والتمثيل. وتتمثل إشكالية البحث في أن حضور الماء في كثير من الدراسات العربية لا يزال– في الغالب– حضورًا موضوعاتيًا أو بيئيًا عامًا، لا إطارًا نظريًا ومنهجيًا منظّمًا لتحليل الثقافة والسياسة والذاكرة والاقتصاد. لذلك، لا يدّعي البحث أن الكتابة العربية عن الماء غائبة كليًا، بل يجادل بأن الإنسانيات الزرقاء؛ بوصفها حقلًا نقديًا ومفاهيميًا متكاملًا، لا تزال في طور التشكّل داخل السياق العربي. ومن هنا يطرح البحث الأسئلة الآتية: ما المقصود بالإنسانيات الزرقاء؟ وما أبرز أطرها النظرية ومفاهيمها المؤسسة؟ وكيف يمكن لهذا الحقل أن يفتح أفقًا جديدًا لقراءة قضايا عربية مثل القدس وغزة والبحر الأحمر وباب المندب؟.

أولًا: الإنسانيات الزرقاء: من مركزية البر إلى أفق الماء

يغطي الماء أكثر من ٧٠٪ من كوكبنا، كما تسهم المحيطات في إنتاج أكثر من نصف الأكسجين على الأرض (Buchanan and Jeffery, 2019, p. 11). ويشكّل الماء ما يقارب ٧٥٪ من كتلة أجسامنا في مرحلة الطفولة، ونحو ٥٠٪ إلى ٦٠٪ في مرحلة البلوغ (Brinkman, Dorius, and Sharma, 2023, p. 6).

ومن ثمّ، فإننا، كما تقول أستريدا نيمانيس (Astrida Neimanis) «حرفيًا وواقعيًا وتكوينيًا أجسادٌ مائية» (Neimanis, 2024, p. xxiv). وعلى الرغم من هذه الأهمِّيَّة البيئيَّة والثقافيَّة للماءِ، فضلاً عن دورِ المُحيطات في تغيُّرِ المناخ وآثارِه المتعدِّدة، مثل الاحترار العالمي/ الاحتباس الحراريّ وارتفاعِ منسوبِ مياهِ البحارِ والأنهارِ وذوبان الأنهار الجليدية والفيضاناتِ وتسمُّمِ المُحيطاتِ، وتزايد الأعاصير والعواصف، والحرائق الكارثية، إلا أنه من اللافت أن الماء لا يزال مهمشاً في التدريس و البحث العلمي في الإنسانيات و العلوم الاجتماعية مقارنة باليابسة والدولة القومية. فكم عدد المساقات في أقسام اللغة الإنجليزية والدراسات الثقافية وما بعد الاستعمار التي تتناول الماء بوصفه إطارًا تحليليًا، مقارنةً بالمساقات المتمحورة حول اليابسة بوصفها أداةً أساسية للتحليل؟ لقد أشار كثيرٌ من الباحثين في الأدب والتاريخ والنقد البيئي والجغرافيا والعلوم السياسية إلى هذا التهميش بوصفه «سياقًا مفقودًا» (Blum, 2013, p. 151)، وفجوة «تاريخية» و«لغوية» و«تجريبية» في وعينا الجمعي (Foulke, 1997, pp. 45- 46)، و«ثقبًا أزرق» في الإنسانيات البيئية (Gillis, 2011, p. 16)، و«عجزًا محيطيًا» (Dobrin, 2021, p. 1)، ونظرةً «عمياء مائيًا» إلى التاريخ والتطور البشري (Tvedt, 2021, p. 1). ونرى هذا التهميش للماء في الدراسات الثقافية أكثر وضوحًا في السياق العربي، إذ لا يزال البحث الأكاديمي في مجال الإنسانيات الزرقاء (Blue Humanities) في بداياته داخل الجامعات العربية، ولم يتبلور بعد كحقل منهجي مستقل. ومن ثمّ، يسعى هذا البحث إلى الإسهام في سدّ هذه الفجوة المعرفية القائمة في دراسة الماء وتدريسه داخل حقول الإنسانيات والعلوم الاجتماعية في العالم العربي.

وردًّا على هذا التهميش في العالم الغربي، شهدت السنوات الأخيرة تحوّلًا ملحوظًا ومتزامنًا نحو التركيز على دراسة الماء في حقول الإنسانيات والعلوم الاجتماعية والعلوم البحرية على السواء. وهذا التحول المعرفي الجديد هو ما نسمّيه ب «الإنسانيات الزرقاء» (Blue Humanities)، وكما يلاحظ المؤرخ البحري جون جيليس (John Gillis)، فإن هذا «التحول الثقافي نحو البحر» بدأ في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. فقد انتقل تركيز علم الآثار مثلاً إلى ما وراء اليابسة نحو البحر، كاشفًا عن جوانب مجهولة سابقًا من عصور ما قبل التاريخ كانت قد ضاعت بسبب ارتفاع مستويات البحار. أما علم الأنثروبولوجيا، الذي نشأ أساسًا في الجزر، فقد أصبح اليوم يركز على البحار التي تفصل بينها. وكان التاريخ البحري في السابق يهتم إلى حدٍّ كبير بما يحدث على سطح الماء، لكنه أصبح الآن معنيًا أيضاً بالحياة داخل المحيط نفسه، بما في ذلك الحياة في قاع المحيط. وأصبح التاريخ البحري يندمج بسرعة مع علم الأحياء البحرية، حتى بات لا يكاد يتميز عن التاريخ الطبيعي. كما أن التاريخ البيئي بدأ اليوم يدرس أنواعًا معينة من الأسماك والثدييات البحرية. وفي الآونة الأخيرة, أكثر من أي وقت مضى، حيث بدأنا نستكشف تاريخ التيارات البحرية، والمدّ والجزر، وحتى الأمواج، وهي ظواهر كان يُظن سابقًا أنها أزلية وثابتة، ك «البحر الأبدي» نفسه (Gillis, 2011, p. 1). وهكذا يقدّم هذا الحقل نفسه؛ بوصفه فرعًا داخل الإنسانيات البيئية، يعيد ترتيب سلّم الاهتمامات المعرفية، بحيث يصبح الماء مركزًا للتحليل لا هامشًا (Kluwick, 2025, p. 1). ويُنسب مصطلح الإنسانيّاتِ الزَّرقاءِ إلى الباحث الأمريكي المتخصص في الأدب الإنجليزي ستيف منتز Steve Mentz، إذ اقترح هذا المفهوم عام ٢٠٠٩ في مقاله المعنون «نحو دراسات ثقافية زرقاء»، وقد عرّفه في مقال آخر بأنه: «مقاربةٌ بحرية تضع التاريخ الإنساني في إطارٍ محيطي بدلاً من إطار أرضي» (Mentz, 2018, p. 69) ونظَّر منتز لهذا المجال بشكل أوسع في كتابه «مدخل الى الإنسانيات الزرقاء» (Mentz, 2024).

ويمكنُ أيضا تعريفُ الإنسانيّاتِ الزَّرقاءِ بأنّها حقلٌ دراسيٌّ بَيْنيٌّ، متعدِّدُ التخصُّصات، وعابرٌ لها, يدرس العلاقات المتبادلة بين الإنسان والماء في الماضي والحاضر والمستقبل، من منظور العلوم الإنسانية والاجتماعية والبحرية. فهي تربط بين التاريخ والجغرافيا والأدب والسينما والفنون والفلسفة والاقتصاد والأخلاقيات والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع ودراسات ما بعد الاستعمار وعلم الآثار، مع الانفتاح في الوقت نفسه على علوم المحيطات والأحياء البحرية والفيزياء البحرية والكيمياء البحرية (Oppermann, 2023, p. 1). ولهذا السبب, برزت في الآونة الأخيرة مصطلحات جديدة تعكس هذا التوجه مثل: التاريخ الأزرق (Matt McKenzie)، والفلسفة الزرقاء (Melody Jue)، واللسانيات الزرقاء (David Harris)، وما بعد الاستعمار الأزرق (Mohammed Muharram & Kerstin Knopf)، والأنثروبولوجيا الزرقاء (Nils Bubandt)، والدين الأزرق (Justine Bakker)، والقوانين الزرقاء (Irus Braverman & Sofie Quist)، والإيكولوجيا الزرقاء (Michael Blackstock). وتمثل هذه الموضوعات فصولًا في الكتاب المرتقب «دليل بلومزبري إلى الإنسانيات الزرقاء» *(The Bloomsbury Handbook to the Blue Humanities)*، الذي يحرّره أربعة من منظّري هذا المجال وهم: ستيف منتز (Steve Mentz)، ومحمد محرم (Mohammed Muharram)، وسيربيل أوبيرمان (Serpil Oppermann)، وساندرا يونغ (Sandra Young). وقد سبق ظهور مصطلحات مشابهة كالنقد البيئي الأزرق Blue Ecocriticism للباحث سيدني دوبرين (Dobrin, 2021) والأنثروبوسين الأزرق Blue Anthropocene للباحثة ميق صامويلسن (Samuelson, 2022).

وتتيح السيولة المفاهيمية لهذا الحقل -التي تعكس سيولة موضوعه- إمكانية الربط بين التخصصات المختلفة. فهو يتميز بما يُعرف بـ«الشعرية السائلة» fluid poetics (Jue & Ruiz, 2021, p. 2) و«السيولة التخصصية» disciplinary fluidity (Bakker, 2019)؛ وهما مفهومان يشجعان التعاون العابر للتخصصات، ويسهمان في إعادة التفكير في العلاقة بين المعرفة العلمية والإنسانية. ولذلك يرى محمد محرم أن الإنسانيات الزرقاء تسد فجوتين أساسيتين في المعرفة البيئية: الفجوة بين الإنسانيات والعلوم الطبيعية، والفجوة بين علماء المناخ والجمهور العام. (Muharram, 2025, p. 1) كما تتيح هذه السيولة للإنسانيات الزرقاء أن «تعبر الحدود» متجاوزة المنهجيات البيئية التقليدية المرتبطة باليابسة أو بالدولة القومية، ومبرزةً الكيفية التي تشكلت بها المحيطات تاريخياً عبر عمليات الاستعمار والترسيم والسيطرة العسكرية (Oppermann, 2023, p. 5; Perez, 2020, p. 2). ومن منطلق التزامها بالشمول، تسعى هذه المقاربة إلى تطوير منهجية عالمية ومتعددة اللغات، وشاملة إبداعياً، ولها القدرة على استيعاب تنوع المعارف والخبرات المرتبطة بالمياه والثقافات البحرية (Mentz, 2024, p. 18).

وبذلك لا تقتصر الإنسانيات الزرقاء على تناول الماء، بوصفه موضوعًا ثقافيًا أو طبيعيًا منفصلًا، بل تنظر إليه بوصفه وسيطًا جامعًا يعيد وصل الحقول المعرفية، ويكشف تشابك التجارب البشرية مع البيئات المائية عبر الأزمنة والسياقات المختلفة. فهي بمثابة جسرٍ يصل بين المعارف و الشعوب، والإنسان والبيئة، وقد عبّر الباحثون عن هذه الميزة بطرق مختلفة. فترى سيربيل أوبرمان (Serpil Oppermann) أن الإنسانيات الزرقاء تقوم على «تقاطُع الحدود وتداخلها» (Oppermann, 2023, p. 5). أما الشاعر والناقد كريغ سانتوس بيريز (Craig Santos Perez) -وهو من السكان الأصليين (شعب تشامورو) في جزيرة غوام- فيوضح ذلك بقوله: «إن الإنسانيات الزرقاء تتدفّق عبر التخصصات، وتغوص في الأعماق البحرية والطبقات المغمورة، وتسبح داخل تشابكات الكائنات المتعددة الأنواع، وتتقاطع مع المعارف النسوية ومعارف الشعوب الأصلية والمعارف المرتبطة بالشتات، وتعترف بفاعلية المحيط الذي يزداد دفئًا ويرتفع منسوبه، كما تُغير أساليبنا في التفكير النقدي وممارسات القراءة» (Perez, 2020, p. 2).

وَمِنَ المصطلحاتِ التي أُطلِقَت على الإنسانياتِ الزرقاءِ نَجِدُ ما يلي: «الثالاسولوجيا الجديدة» (Horden and Purcell, 2006)، و«النقد البيئي البرمائي» (Brayton, 2012)، و«الدراسات النقدية للمحيطات» (DeLoughrey, 2017)، و«الدراسات المحيطية الإنسانية» (Price, 2017)، و«النقد المائي» (Winkiel, 2019)، و«النقد البيئي الأزرق» (Dobrin, 2021) و«الإنسانيات المائية» (De Wolff, Faletti, & López-Calvo, 2022)، ومؤخرًا «دراسة المحيطات النقدية» (Foley & Silver, 2026).

وتُظهر مقاربة الإنسانيات الزرقاء أن النماذج التحليلية التقليدية في الدراسات ما بعد الاستعمار -التي تعتمد على الدولة القومية والحدود البرية- تقيّد فهمنا للعالم لأنها تقوم على تقسيمات ثنائية جامدة مثل الشرق والغرب، والمركز والهامش، والمستعمِر والمستعمَر. في المقابل، تقدّم الإنسانيات الزرقاء منظوراً مختلفاً يقوم على منطق الترابط والدوران البحري، حيث يصبح المحيط فضاءً يربط الشعوب والتواريخ والثقافات، عبر حركات الماء والتيارات البحرية التي تجوب الأرض دون أي حدود. وتعتمد هذه المقاربة على الماء أو المحيط بوصفه منهجاً للتحليل، وهو ما عبّر عنه عدد من الباحثين بوضوح في عنوان كتابهم «المحيط كمنهجية» (Menon et al., 2022)، حيث يُستخدم المحيط كإطار معرفي؛ لفهم التاريخ والثقافة، بعيداً عن الحدود القومية الضيقة. ومن خلال هذا المنظور، تكشف الإنسانيات الزرقاء معاني وروابط تاريخية وثقافية لا يمكن رؤيتها عبر نموذج الدولة القومية، إذ تُظهر كيف ربطت البحار -وخاصة المحيط الهندي- بين شرق أفريقيا وجنوب آسيا والعالم العربي عبر شبكات التجارة والهجرة والاستعمار. وقد استخدم باحثون هذا المنظور البحري لإعادة قراءة العلاقات بين مناطق متباعدة؛ فمثلاً تستخدم إيزابيل هوفماير (Isabel Hofmeyr) المحيط الهندي إطاراً لربط أفريقيا والهند (Hofmeyr, 2012)، كما تبيّن شارن لافيري (Charne Lavery) كيف يربط البحر بين تواريخ وجغرافيات متعددة عبر المحيط الهندي، وكذلك بين أفريقيا و القارة القطبية المتجمدة (Lavery, 2019; Lavery, 2021). وبهذا المعنى، تعيد الإنسانيات الزرقاء تخيّل البحر لا كحدّ فاصل، بل كوسيط تواصل، وهو ما يفتح المجال لفهم شرقٍ أوسطَ عالميّ، وعالم مترابط تحكمه شبكة مائية واحدة، حيث لا توجد محيطات منفصلة بقدر ما يوجد محيط عالمي واحد تتداخل عبره التواريخ والهويات والاقتصادات والثقافات.

وتقدّم الإنسانيات الزرقاء مقاربةً جديدة تعكس تحليلًا أكثر سيولة لكيفية تأثير الماء على الثقافة الإنسانية والتاريخ والبيئة (Steinberg and Peters, 2015؛ Jue, 2020)، وكذلك الكيفية التي تتشكّل بها المخيلة البشرية، والتعبير الفني، والممارسات الثقافية بفعل البيئات المائية (Cohen, 2010؛ Mentz, 2009). ومن خلال فحص السرديات البحرية والاستعارات المحيطية في أشكال تمثيلية متنوعة (Brayton, 2012؛ Frank, 2022)، لا يقتصر هذا المجال المتعدد التخصصات على دراسة العلاقة المعقدة بين الأنشطة البشرية والنظم البيئية البحرية، مما يكشف التأثيرات المتبادلة في المجتمعات (Gilroy, 1993؛ Hau'ofa, 2008)، بل يستكشف أيضًا العلاقات بين الكيانات البشرية وغير البشرية في السياقات المائية (Haraway, 2016؛ Neimanis, 2017). ويركّز هذا المجال على قضايا بيئية، مثل: تحمّض المحيطات، والتلوث البحري، وارتفاع مستويات سطح البحر (DeLoughrey, 2017؛ Yaeger, 2010)، كما يؤكد الدور الحاسم للمحيط في تنظيم المناخ والحفاظ على التنوع البيولوجي (Alaimo, 2019؛ Dobrin, 2021). كذلك تناقش الإنسانيات الزرقاء عصر الأنثروبوسين وتفاعلات الإنسان والطبيعة، من خلال مزج عناصر من النقد البيئي، والإنسانيات البيئية، وما بعد الإنسانية، داعيةً إلى إدارة مستدامة للموارد البحرية وإلى تقدير أكثر عمقًا ودقة لعالمنا المائي (Iovino and Oppermann, 2014؛ Mentz, 2020).

وتناقش الإنسانيات الزرقاء أبعاد الفضاءات المائية المختلفة، بما في ذلك الدلالات السياسية- الاقتصادية والثقافية التي تُشكّل انخراطنا مع المحيطات والمسطحات المائية- من قضايا مثل القانون البحري، واستخراج الموارد، والنزاعات الإقليمية، إلى أدوار المحيطات في العولمة الاقتصادية، فضلًا عن مسائل التراث (Campling and Colás, 2021؛ Hofmeyr, 2019؛ Oruc, 2022؛ Steinberg, 2001). ويتم ذلك عبر منازعة السرديات الأوروبية المركزية (Hau'Ofa, 2008؛ Perez, 2020)، وإدماج منظورات السكان الأصليين أو المنظورات غير الغربية التي تدعم المعارف البيئية التقليدية والفولكلور البحري (Oppermann, 2013؛ Williams, 2013). ويشير مفهوم «العولمة الرطبة» (Wet Globalization)، وهو مصطلح صاغه منتز، إلى أن عمليات العولمة لم تتشكل عبر اليابسة وحدها، بل عبر الشبكات البحرية التي ربطت الموانئ والسواحل والمحيطات، حيث أسهمت طرق الملاحة والتجارة والهجرات العابرة للمحيطات في تشكيل الاقتصاد والثقافة والتاريخ العالمي بطرق لا يمكن فهمها، من خلال نماذج الدولة القومية البرية وحدها (Mentz, 2009; Hofmeyr, 2019; Steinberg, 2001; Campling & Colás, 2021).

وتثير الإنسانيات الزرقاء مجموعة من الأسئلة العميقة التي تعكس اتساع هذا الحقل وجرأته المنهجية، من أبرزها: كيف يصل الماء بين الأزمنة والأمكنة والسرديات وأنماط المعرفة، ويكشف أن ما نعدّه «منفصلًا» ليس كذلك؟ وهل يمكن أن تُفهم الأنهار و الحيتان والشعاب المرجانية، بوصفها كيانات ذات فاعلية وحقوق أمام المحاكم الدولية، لا مجرد موارد يتم استنزافها؟ وما الذي تعلمنا إياه المعارف الأصلانية حين تُعامل الماء كقريب وقرابة، أو كمعلم وكائنٍ قانوني، لا كمادة للاستخدام؟ وكيف تُعيد الأعماق السحيقة، بوصفها مجالًا مظلمًا خارج الضوء وأحيانًا خارج المخيال البشري، تشكيل أسئلتنا عن المعرفة والحدود واللا-مرئي؟ وكيف تكشف أساطير البحر مثل حكاية «حورية البحر» عن تشابكات النوع الاجتماعي والاستعمار والخوف من المجهول؟ ثم كيف يمكن قراءة حبر الحبار العملاق أو جسد قنديل البحر أو ذكاء الأخطبوط؛ بوصفها أشكالًا بديلة للكتابة والمعرفة والذاكرة، وطرائقَ «سائلة» للتفكير تتحدى مركزية الإنسان؟ وما الذي يحدث عندما يوضع الفن تحت الماء كأعمال جيسون ديكيرز تيلور (Jason deCaires Taylor)، الذي يحول تماثيله الأسمنتية العملاقة إلى شعاب مرجانية حية و متاحف تحت الماء، حيث يضعنا هذا الانتقال من ضوء النهار إلى عتمة الأعماق أمام تساؤلٍ وجوديٍّ عميق: هل نحن بصددِ إعادة صياغة الجمال لعين الإنسان الغارقة في الفضول، أم أننا نمدُّ يدَ العونِ للحياة الفطرية بتشييد «أرحامٍ» حجرية تنبضُ بالمرجان؟ وهل هذا الفنُّ في جوهره إلا رسالة اعتذارٍ صامتة، مشفّرةً بلغة الكالسيوم، وموجّهةً إلى قلب المحيط الذي أثقلناه بمخلفاتنا؟ وكيف تعيد سرديات اللاجئين والمهاجرين عبر البحار تعريف الماء لا بوصفه خطرًا أو معبرًا فقط، بل شاهدًا وحافظًا للذاكرة وراويًا؟ وكيف يحمل البحر ذاكرات العنف التاريخي، بما في ذلك حوادث الإلقاء القسري في المحيطات ضمن تاريخ العبودية العابرة للأطلسي، بوصفها «أرشيفًا مائيًا» لا يختفي؟ وأخيرًا، إذا لم يعد مفهوم الأنثروبوسين كافيًا لتفسير كل شيء، فكيف تفتح تصورات جديدة مثل «Oceanocene» (Mentz, 2019) والذي يدعونا لإعادة التفكير في التاريخ البشري من منظور المحيط، أو مفهوم «Hydrocene» الذي طرحته الباحثة براونوين بيلي-تشارتيريس (Bronwyn Bailey- Charteris) لترسيخ دور المياه كقوة فاعلة في تشكيل الوجود، بعيداً عن المركزية البشرية الخانقة (Bailey-Charteris, 2024)؟ وإلى أي حد يمكن للذكاء الاصطناعي وتقنيات البيانات أن توسّع الإنسانيات الزرقاء أو تتحداها أو تعمّق علاقتنا الأخلاقية بالكائنات المائية أكثر- من- البشر؟.

ثانياً: الأطر المفاهيمية والنظرية للإنسانيات الزرقاء

ما بعد الإنسانية المائية (Posthumanism) والوكالة غير البشرية

تنبثق الإنسانيات الزرقاء من صلب تيارات ما بعد الإنسانية (Posthumanism)، حيث تسعى بجدية إلى تفكيك «المركزية البشرية» التي هيمنت طويلًا على فهمنا للعالم. ففي هذا المنظور، لا يُعدُّ المحيط بمياهه وكائناته مجرد «خلفية خاملة» أو مسرحاً محايداً للنشاط البشري، بل هو فاعل حيوي (Agent) يشترك بصورة جذريّة في تشكيل الروابط البيئية والثقافية والسياسية. ويظهر هذا التحول الجذري حتى في التقاليد الأكاديمية الراسخة؛ ففي مقدمة كتابه «الإنسانيات الزرقاء: مقدمة» (2024)، يكسر منتز (Steve Mentz) بروتوكول الشكر التقليدي؛ إذ لا يبدأ بشكر المؤسسات أو الزملاء البشر، بل يستهل شكره بالاعتراف بفضل «غير البشر»؛ من شاطئ منطقته، ومياهه و أسماكه و طيوره، ومحاره، و جميع نباتاته. هذا الفعل يجسد اعترافاً صريحاً بفاعلية الكائنات المائية والأنظمة البيئية؛ بوصفها عناصر شريكة في إنتاج المعنى والسلطة، وليست مجرد كائنات خاضعة للدراسة.

إن هذا التوجه يطبق عملياً دعوة دونا هاراواي (Haraway, 2016) بضرورة الاعتراف بـ«التشابكات» (Entanglements) بين البشر وغير البشر، وهو ما يتقاطع مع رؤية أستريدا نيمانيس (Neimanis, 2017) التي تعيد تعريف البشر بوصفهم «أجساداً مائية» متصلة فيزيولوجياً ووجودياً بدورات المياه الكوكبية، مما يزعزع الحدود الصارمة بين «الإنسان» و«الطبيعة». ومن هذا المنطلق، تتجاوز الإنسانيات الزرقاء التفكير التقليدي المتمحور حول الإنسان، لتعترف بذكاء وتعقيد كائنات مثل الأخطبوط كما في فيلم «أستاذي الأخطبوط» *(My Octopus Teacher)* أو «الذكاء اللا-دماغي» لدى قناديل البحر، التي أظهرت الدراسات الحديثة قدرتها على التعلّم رغم افتقارها إلى دماغ مركزي، ولتقرَّ بـ«الشخصية القانونية» للأنهار و«قرابة» الحيتان في التقاليد الأصلية، مقدمةً بذلك بديلاً للنقد البيئي "الأخضر" يتجاوز الحدود الجغرافية واللغوية الكلاسيكية (Mentz, 2024).

الأنطولوجيا الرطبة (Wet Ontology)

يُعد مفهوم الأنطولوجيات الرطبة أحد المفاهيم المركزية في التفكير المرتبط بالإنسانيات الزرقاء. فقد طرح فيليب شتاينبرغ وكيمبرلي بيترز (Philip Steinberg & Kimberley Peters) هذا المفهوم للتأكيد على أن البحر ليس مجرد سطح جغرافي يمكن تمثيله على الخرائط، بل فضاء مادي ديناميكي يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (Steinberg & Peters, 2015). فالفضاءات المائية تتسم بالسيولة والحركة المستمرة، الأمر الذي يزعزع النماذج التحليلية التقليدية القائمة على الثبات والحدود الصلبة المرتبطة بالدولة القومية. ومن خلال هذا المنظور، يصبح البحر مجالًا تتحرك فيه القوى السياسية والاقتصادية والثقافية بطرق يصعب احتواؤها ضمن منطق اليابسة، أو ضمن الأطر الجغرافية التقليدية. ومن ثمّ، تتيح الأنطولوجيات الرطبة إعادة التفكير في الجغرافيا السياسية والاقتصاد العالمي من خلال الاعتراف بسيولة الفضاءات المائية وطبيعتها المتغيرة. وفي إطار الإنسانيات الزرقاء، تنخرط الدراسات الفلسفية كذلك في تأمل طبيعة الماء وصلته بالحياة الإنسانية (Chen et al., 2013)؛ أستريدا نيمانيس (Neimanis, 2012)، مقدّمة مفاهيم نظرية مثل الأنطولوجيات الرطبة (Wet Ontologies) والنسوية المائية (Hydrofeminism) التي تسعى إلى زعزعة الثنائيات الغربية التقليدية بين الإنسان والطبيعة، وبين اليابسة والماء، وإعادة تصور العلاقات بين البشر والأنظمة البيئية المائية بوصفها علاقات ترابط وتداخل مستمر.

النسوية المائية (Hydrofeminism)

طورت أستريدا نيمانيس (Astrida Neimanis) مفهوم النسوية المائية بوصفه إطارًا نظريًا يربط بين الجسد البشري والأنظمة المائية للكوكب. ويؤكد هذا المفهوم أن البشر ليسوا كيانات منفصلة عن البيئة، بل هم أنفسهم مكوَّنون من الماء ومندمجون في دوراته البيئية المتواصلة. (Neimanis, 2017) ومن خلال هذا المنظور، تصبح العلاقات بين البشر والمياه علاقات قرابة بيئية، وليست مجرد علاقات استغلال للموارد، إذ يُعاد تصور الجسد البشري بوصفه جزءًا من شبكة مائية كوكبية تتدفق عبرها المواد والحياة. ويرتبط هذا التصور كذلك بمفهوم التجسد العابر للأجساد (Transcorporeality) الذي طورته ستايسي ألايمو (Stacy Alaimo)، والذي يؤكد أن الأجساد البشرية وغير البشرية ليست كيانات مغلقة، بل تتداخل عبر تدفقات المواد والطاقة والعناصر البيئية، بما في ذلك الماء (Alaimo, 2010). ومن هذا المنظور، يصبح الجسد البشري موقعًا تتقاطع فيه العمليات البيئية والكيميائية والبيولوجية، مما يكشف عن الترابط العميق بين صحة البشر وصحة النظم البيئية المائية. كما توسّع الأدبيات الحديثة هذا التوجه من خلال العمل الجماعي «التفكير النسوي المائي مع المحيطات: إمكانات سياسية ومعرفية» الذي حررته تمارا شيفر، وفيفيان بوزاليك، ونيك رومانو (Shefer, Bozalek and Romano, 2024). حيث يقدم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات التي تستكشف الإمكانات السياسية والمعرفية للتفكير الهيدرونسوي مع المحيطات، مؤكدًا أن الماء ليس مجرد موضوع للدراسة، بل وسيطٌ يربط بين الأجساد والبيئات والمجتمعات. كما يبرز الكتاب كيف يمكن للنسوية المائية أن تسهم في إعادة التفكير في قضايا العدالة البيئية، والعلاقات متعددة الأنواع، والمعرفة البيئية، من خلال إبراز الترابط العميق بين الأجساد البشرية والأنظمة المائية للكوكب. وبهذا المعنى، توسّع النسوية المائية أفق الإنسانيات الزرقاء عبر إعادة تصور العلاقة بين الجسد البشري والبيئات المائية بوصفها علاقة تشابك وتدفق مستمرين، مؤكدةً أن التفكير عبر الماء يستلزم أيضًا إعادة النظر في طبيعة الحياة والعلاقات الأخلاقية بين البشر والكوكب.

النقد البيئي المادي (Material Ecocriticism)

يسهم النقد البيئي المادي في تعزيز البعد المادي داخل الإنسانيات الزرقاء. ففي هذا الاتجاه النظري، لا تُفهم الطبيعة بوصفها موضوعًا سلبيًا للتمثيل الثقافي، بل بوصفها كيانًا يمتلك قدرة على الفعل والتأثير. وتشير سيرينيلا يوفينو Serenella Iovino و أوبرمان إلى أن المادة نفسها تحمل قصصًا ومعاني يمكن قراءتها بوصفها جزءًا من الخطاب الثقافي (Iovino & Oppermann, 2014). ومن هذا المنظور، تصبح المياه والبحار والمحيطات حوامل لسرديات بيئية وسياسية تتجاوز التمثيل الرمزي لتشمل أبعادها المادية الفعلية. وتتيح هذه المقاربة فهم التفاعل المتبادل بين الخطاب الثقافي والعمليات البيئية، مما يعزز قدرة الإنسانيات الزرقاء على تحليل العلاقة بين الثقافة والمادة المائية. وتجادل كلويك (Kluwick, 2025, p. 1) أن هذا التوجه يرتبط كذلك بحقل النقد البيئي العنصري (Elemental Ecocriticism) الذي يركز على دراسة العناصر الأساسية للطبيعة، مثل الماء والهواء والنار والتراب؛ بوصفها قوى مادية وثقافية في آنٍ واحد.

وقد أسهم جيفري جيروم كوهين ولويل دوكراي (Jeffrey Jerome Cohen & Lowell Duckert) في تطوير هذا الاتجاه من خلال كتابهما «التفكير البيئي العنصري: التفكير مع الأرض والهواء والماء والنار»، حيث يقترحان التفكير مع العناصر الطبيعية بدلاً من التعامل معها بوصفها مجرد خلفية للأحداث البشرية (Cohen & Duckert, 2015). وفي هذا السياق يكتسب عنصر الماء أهمية خاصة داخل الإنسانيات الزرقاء، إذ يُنظر إليه بوصفه عنصرًا يربط بين البيئات والثقافات والتاريخ البشري عبر تدفقات مادية ورمزية مستمرة. ومن ثمّ، يفتح النقد البيئي العنصري المجال لفهم أعمق لدور العناصر المائية في تشكيل السرديات البيئية والأنماط الثقافية، مما يعزز التكامل بين الدراسات البيئية والنقد الثقافي ضمن إطار الإنسانيات الزرقاء. و تضيف كلويك (Kluwick, 2025, p. 1) أن من أبرز الابتكارات التي تقدمها الإنسانيات الزرقاء في هذا السياق إصرارها على ضرورة إدخال الوظيفة الرمزية للماء في حوار مباشر مع ماديته. و هذا يتماشى مع عبارة هستر بلوم (Hester Blum) المشهورة: «البحر ليس استعارة» (2010, p. 670). فبدلاً من ذلك، تلفت الإنسانيات الزرقاء الانتباه إلى دور المحيط العالمي بوصفه فضاءً للتجربة والتفاعل الثقافي والاجتماعي، ومنطقة تماس بين الإنسان والعالم الأكثر-من-البشري، وكتلة مادية هائلة ثلاثية الأبعاد لا يمكن للمعرفة البشرية الوصول إليها إلا جزئيًا.

التفكير ب/مع الماء Thinking with Water

يدعو عدد من منظّري الإنسانيات الزرقاء إلى الانتقال من التفكير عن الماء؛ بوصفه موضوعًا خارجيًا للدراسة إلى التفكير معه بوصفه وسيطًا معرفيًا يساعد على فهم العالم. ففي هذا الإطار لا يُنظر إلى الماء مجرد عنصر طبيعي، بل بوصفه طريقة لفهم العلاقات المعقدة بين البشر والبيئات المائية. وتشير أوبرمان إلى أن التفكير مع الماء يسمح بإدراك التشابك بين المادي والثقافي في تشكيل هذه العلاقات، مقترحةً التفكير مع المحيطات والبحيرات والأنهار بوصفها قوى قادرة على إعادة تشكيل علاقتنا بالمادة الرطبة على نحو متبادل (Oppermann, 2023, p. 9). كما يؤكد منتز أن هذا المنظور يغيّر الطريقة التي نقرأ بها التاريخ والثقافة، إذ يكشف أن العالم يتشكل عبر التدفقات المائية بقدر ما يتشكل عبر اليابسة (Mentz, 2024). وقد طوّر هذا التوجه نظريًا كتاب التفكير مع الماء *(Thinking with Water)* الذي حررته تشين وماكليود ونيمانيس (Chen, MacLeod, & Neimanis)، حيث يقترح الانتقال من دراسة الماء بوصفه موردًا ماديًا قابلاً للقياس والاستغلال إلى التفكير معه؛ بوصفه شريكًا معرفيًا وثقافيًا في تشكيل طرائق المعرفة والعمل (Chen, MacLeod, & Neimanis, 2013). ومن هذا المنظور يصبح التفكير عبر الماء ممارسةً لـ «تفكير علائقي» يستند إلى مفاهيم مثل السيولة واللزوجة والمسامية التي تكشف الترابط العميق بين البشر والأنظمة المائية (Chen, MacLeod, & Neimanis, 2013, p. 12). وفي سياق الإنسانيات الزرقاء، يفتح هذا المنظور المجال لإعادة التفكير في قضايا مثل السيادة والهجرة والذاكرة والاقتصاد من خلال إدراك الدور المركزي للمياه في تشكيل التاريخ والثقافة. كما يدعو إلى الاعتراف بالبحار والأنهار والبحيرات بوصفها كيانات حيوية لها حقوقها الخاصة، بما في ذلك حق الماء في التدفق دون عوائق وحق الأنهار الجليدية في البقاء (Oppermann, 2023, p. 9). ويرى أندرو بيرو (Andrew Biro) أن التفكير عبر الماء يقتضي أيضًا الانتباه إلى أن المفاهيم التي نستخدمها لتنظيم التدفقات المائية -مثل الأحواض ومستجمعات المياه والخزانات الجوفية- ليست سوى تجريدات مفهومية متجذرة في سياقات ثقافية محددة (Biro, 2013, pp. 166–167). ومن خلال هذا الإطار، تقترح الإنسانيات الزرقاء طرائق جديدة للتفاعل مع الماء وتمثيله سرديًا، بما يكشف عن تشابك القوى البيولوجية والجيولوجية والكيميائية والمناخية والاقتصادية والسياسية في تشكيل علاقات البشر بالمياه في عصر الأنثروبوسين، الذي يظهر أثره بوضوح في المحيط العالمي (Chaturvedi, 2022, p. 164). كما يتيح التفكير مع الماء تجاوز بعض حدود خطاب الأنثروبوسين ذاته عبر إعادة تصور العلاقة بين الإنسان والأنظمة البيئية المائية بوصفها علاقة ترابط وتفاعل مستمرين (Oppermann, 2018).

التفكير الأرخبيلي (Archipelagic Thinking)

يمثل التفكير الأرخبيلي إطارًا نظريًا مهمًا لفهم العلاقات المكانية والثقافية في الإنسانيات الزرقاء. فقد اقترح إدوارد جليسون (Édouard Glissant) مفهوم الفكر الأرخبيلي بوصفه بديلًا للنماذج الفكرية القارية التي تقوم على المركزية والثبات، حيث يؤكد أن الأرخبيلات -بوصفها شبكات من الجزر المتصلة بالمياه- تقدم نموذجًا لفهم العالم بوصفه شبكة علاقات متحركة ومتشابكة (Glissant, 1997). وفي السياق ذاته، تشير إليزابيث ديلوغريه (Elizabeth DeLoughrey) إلى أن التفكير الأرخبيلي يسمح بإعادة قراءة التاريخ الاستعماري والشتات الثقافي من خلال الشبكات البحرية التي ربطت بين المجتمعات والجزر والموانئ عبر المحيطات (DeLoughrey, 2017). وبهذا المعنى، يقدم هذا الإطار تصورًا للعالم يقوم على الاتصال والتعدد بدل الانفصال والحدود الصلبة.

كما توسّعت دراسات التفكير الأرخبيلي في السنوات الأخيرة لتشمل مقاربات مقارنة عابرة للمناطق، حيث يُنظر إلى الأرخبيلات؛ بوصفها شبكات من الجزر والعلاقات المائية التي تُنتج أنماطًا خاصة من المعرفة والاتصال الثقافي والتاريخي، لا بوصفها وحدات جغرافية معزولة، بل كنماذج لفهم العالم عبر علاقات الترابط والحركة بين الجزر والبحار (Stephens & Martínez-San Miguel, 2020). وقد توسّعت دراسات التفكير الأرخبيلي في السنوات الأخيرة لتتجاوز السياق الكاريبي الذي انطلقت منه، لتصبح إطارًا مقارنًا عابرًا للمناطق يُستخدم لفهم شبكات العلاقات بين الجزر والبحار عبر فضاءات عالمية متعددة. وينظر هذا المنظور إلى الأرخبيلات ليس بوصفها جزرًا معزولة، بل كنماذج معرفية تكشف أنماط الترابط والحركة والتبادل بين الجزر والبحار، وهو تصور يتقاطع مع رؤية «Epeli Hau'Ofa» الذي قدّم المحيط بوصفه فضاءً رابطًا يكوّن هوية وثقافة شعوب الجزر في أوقيانوسيا، ومع طرح Craig Santos Perez الذي يرى أن المحيطات تشكّل شبكات ثقافية وبيئية عابرة للحدود القومية (Hau'Ofa, 2008; Perez, 2020; Stephens & Martínez-San Miguel, 2020).

كما تؤكد دراسات التفكير الأرخبيلي المعاصرة أن هذا المنظور يسعى إلى إعادة رسم الخرائط المعرفية في الإنسانيات العالمية، عبر تجاوز المركزية القارية التي تعطي الأفضلية لليابسة على الجزر. فبدل النظر إلى الجزر بوصفها فضاءات هامشية أو معزولة، يدعو التفكير الأرخبيلي إلى فهمها ضمن شبكات من العلاقات والحركات المائية المتعددة، حيث تُبرز العلاقات بين الجزر نفسها -لا بين الجزيرة والقارة فقط- بوصفها أساسًا لفهم التاريخ والثقافة والتبادل عبر البحار. ومن خلال التركيز على الاتصال، والتعدد، والحركة، يسعى هذا المنظور إلى تحرير المعرفة من السرديات القومية والاستعمارية التي ركزت على الحدود البرية والكيانات المفردة مثل الدولة أو اللغة أو الأمة (Stratford et al, 2011).

التفكير المحيطي و الكوكبي Oceanic and Planetary Thinking

يمثل التفكير المحيطي أحد المرتكزات الأساسية للإنسانيات الزرقاء، فقد دعا منتز إلى إعادة توجيه الدراسات الإنسانية نحو المحيطات بوصفها فضاءات مركزية لفهم التاريخ والثقافة والبيئة (Mentz, 2024). ويرى منتز أن البحر ليس مجرد خلفية للأحداث البشرية، بل فضاء ديناميكي يعيد تشكيل العلاقات بين البشر والبيئة عبر الزمن. كما تؤكد إليزابيث ديلوغري (Elizabeth، DeLoughrey) أن المحيطات تمثل أرشيفًا تاريخيًا وثقافيًا يحمل آثار الاستعمار والهجرة والتبادل الثقافي عبر القرون (DeLoughrey, 2017). ومن خلال هذا المنظور، تسمح الإنسانيات الزرقاء بإعادة قراءة التاريخ العالمي عبر الشبكات البحرية التي ربطت القارات والمجتمعات قبل ظهور الدولة القومية الحديثة. ومع تطور الحقل في العقدين الأخيرين، توسع هذا التفكير المحيطي ليأخذ بعدًا كوكبيًا يتجاوز دراسة البحار؛ بوصفها مساحات جغرافية إلى فهم الماء بوصفه نظامًا كوكبيًا متعدد الأشكال. ففي مقالته حول «شاعرية الماء الكوكبي (A Poetics of Planetary Water)» يوضح منتز أن الإنسانيات الزرقاء لم تعد تركز فقط على المحيطات والسفر عبرها، بل بدأت تهتم أيضًا بأشكال أخرى من الماء الكوكبي مثل المياه الموجودة في أجساد البشر، والجليد القطبي، وبخار الماء في الغلاف الجوي (Mentz, 2023). ويقترح منتز مفهوم «الشاعرية الكوكبية للماء» بوصفه إطارًا نظريًا لفهم العلاقات المعقدة بين البشر والمياه عبر مقاييس متعددة، من التجربة اليومية الصغيرة إلى العمليات البيئية الكوكبية. ويؤكد هذا التصور أن الماء، بوصفه المادة الطبيعية الوحيدة التي توجد في حالات ثلاث -السائلة والغازية والصلبة- يشكل الثقافة البشرية بطرق متعددة؛ فالمحيطات تمثل النظام المائي الأكبر على الكوكب، بينما يشكل بخار الماء والسحب ما يمكن تسميته «محيط الهواء»، في حين تلعب الأنهار الجليدية والكتل الجليدية دورًا ديناميكيًا في تنظيم المناخ الكوكبي. ومن خلال هذا المنظور، تسعى الإنسانيات الزرقاء إلى ربط التجارب البشرية اليومية بالمياه -مثل السباحة أو مشاهدة الفيضانات- بالقوى الكوكبية الكبرى التي تحكم النظام المائي للأرض (Mentz, 2023). كما تتقاطع هذه الرؤية مع دراسات حديثة حول الشاعرية الكوكبية للماء التي تؤكد أن التحول المعاصر في الدراسات البيئية يتمثل في الانتقال من التركيز على اليابسة إلى التركيز على المحيطات، ومن السرديات الخضراء إلى السرديات الزرقاء. وتشير هذه الدراسات إلى أن الإنسانيات الزرقاء تسهم في تعزيز الوعي بالمحيطات وبأهمية المعرفة البحرية (Ocean Literacy)، كما تدعو إلى إعادة التفكير في علاقتنا بالبيئات البحرية من أجل تحقيق الاستدامة البيئية وحماية التنوع الحيوي البحري (Preethamol, 2026). ومن خلال الجمع بين التفكير المحيطي والتفكير الكوكبي، تقترح الإنسانيات الزرقاء إطارًا معرفيًا جديدًا لفهم العالم بوصفه شبكة مترابطة من الأنظمة المائية التي تربط بين البيئات والثقافات والتاريخ البشري عبر مقاييس محيطية وكوكبية في آن واحد.

ثالثاً: تطبيقات وأبعاد اجتماعية وسياسية للإنسانيات الزرقاء

المجتمعات الساحلية والمعارف الأصلية

تقع المجتمعات الساحلية والشعوب الأصلية في قلب العديد من القضايا التي تعالجها الإنسانيات الزرقاء، إذ تعتمد هذه المجتمعات تاريخيًا على البيئات البحرية والنهرية في أنماط عيشها وثقافاتها ومعارفها البيئية. غير أن هذه المجتمعات تُعدّ من أكثر الفئات تأثرًا بآثار التغير المناخي، مثل ارتفاع مستوى سطح البحر، وتدهور النظم البيئية البحرية، وتغير أنماط الصيد والموارد الساحلية (Allison et al., 2020؛ DeLoughrey, 2019). وغالبًا ما تواجه هذه المجتمعات تحديات مرتبطة بحقوق الأراضي والوصول إلى الموارد ونقص التمثيل السياسي، مما يعيق قدرتها على التكيف مع التحولات البيئية المتسارعة (Ostler & Estes, 2019). كما أن السياسات المركزية كثيرًا ما تتجاهل المعارف البيئية التقليدية التي تمتلكها المجتمعات الساحلية، الأمر الذي يؤدي إلى حلول سياسية وتنموية منفصلة عن الواقع المحلي واحتياجات هذه المجتمعات (Valandra et al., 2019). وفي هذا السياق، تسهم الإنسانيات الزرقاء في إبراز ما تسميه كارين أيميموتو إنغرسول (Karin Amimoto Ingersoll) بـ «إبستمولوجيات المشهد البحري» (Seascape Epistemologies). وهي أنماط معرفية طورتها المجتمعات الأصلية في علاقتها الطويلة بالمحيطات والسواحل (Ingersoll,2016). وتشير إنغرسول إلى أن البحر في هذه الرؤى ليس مجرد مورد اقتصادي أو فضاء جغرافي، بل هو مجال معرفي وثقافي وروحي، تُبنى من خلاله العلاقات الاجتماعية والهوية الجماعية. وتشمل هذه المعارف أنظمة معقدة لفهم التيارات البحرية، ومواسم الصيد، وأنماط الهجرة الحيوانية، إضافة إلى تقاليد ملاحية وثقافية متوارثة عبر الأجيال. ومن خلال الاعتراف بهذه الإبستمولوجيات البحرية الأصلية، تسعى الإنسانيات الزرقاء إلى إعادة الاعتبار للمعرفة المحلية بوصفها مصدرًا أساسيًا لفهم النظم البيئية المائية وإدارتها بشكل أكثر عدالة واستدامة. وفي هذا الإطار، ربما يمكن توسيع تطبيق هذه المقاربة، لتشمل مجتمعات أصلية أخرى، ترتبط تاريخيًا ببيئاتها الساحلية، مثل المجتمع الفلسطيني على ساحل البحر المتوسط، حيث تشكل العلاقة مع البحر جزءًا من الذاكرة الثقافية وأنماط العيش المحلية. ومن هذا المنظور، تسمح الإنسانيات الزرقاء بإعادة قراءة هذه العلاقة في سياق أوسع يرتبط بتاريخ الاستعمار الاستيطاني والصراع على الموارد الساحلية، مظهرةً كيف يمكن للمعارف البيئية المحلية أن تسهم في فهم الأبعاد البيئية والثقافية والسياسية للفضاءات البحرية في السياقات الاستعمارية المعاصرة.

العدالة المائية وعدم المساواة البيئية

تركّز الإنسانيات الزرقاء أيضًا على قضايا العدالة المائية؛ بوصفها جزءًا من النقاش الأوسع حول العدالة البيئية. فالوصول إلى الموارد المائية والبحرية لا يتوزع بشكل متساوٍ بين المجتمعات، بل يتأثر بعلاقات القوة السياسية والاقتصادية وبأنماط الاستعمار التاريخي والتنمية غير المتكافئة. ومن خلال هذا المنظور، تكشف الإنسانيات الزرقاء كيف تُنتج السياسات الاقتصادية العالمية، وعمليات استخراج الموارد البحرية، وأنظمة الإدارة البيئية أشكالًا جديدة من عدم المساواة بين المجتمعات الساحلية والدول المختلفة (Campling & Colás, 2021؛ Steinberg, 2001). كما تسعى هذه المقاربة إلى إدماج أصوات المجتمعات المحلية والمعارف الأصلية في النقاشات المتعلقة بإدارة الموارد البحرية وصياغة السياسات البيئية (Oppermann, 2023).

الجيوسياسة المائية والسيادة البحرية

تسهم الإنسانيات الزرقاء في إعادة تعريف مفهوم السيادة من خلال التركيز على الفضاءات المائية بوصفها مواقع أساسية لتشكّل السلطة. فبدل التركيز الحصري على الحدود البرية، تنقل هذه المقاربة التحليل إلى البحار والمحيطات حيث تُمارَس السلطة عبر طرق الملاحة

والمضائق البحرية والقوانين البحرية والبنى التحتية المرتبطة بالماء (Dobrin, 2026). ومن هذا المنظور، لا تُقرأ البحار بوصفها فراغات فاصلة بين اليابسات، بل بوصفها فضاءات كثيفة تتقاطع فيها التجارة العالمية والهجرة والذاكرة التاريخية والنزاعات الجيوسياسية (Hofmeyr, 2019؛ Mentz, 2024). وهكذا تبرز الجيوسياسة المائية؛ بوصفها إطارًا لفهم كيفية تشكّل القوة السياسية والاقتصادية، عبر الشبكات البحرية العابرة للحدود. و توسّع الإنسانيات الزرقاء مفهوم الجيوسياسة ليشمل الفضاءات المائية؛ بوصفها مواقع مركزية لتشكّل السلطة. فبدل التركيز على الحدود البرية فقط، يدعو هذا المنظور إلى تحليل طرق الملاحة، والمضائق البحرية، والبنى التحتية المرتبطة بالماء بوصفها أدوات للهيمنة الاقتصادية والسياسية (Dobrin, 2026). وتشمل هذه الديناميات التحكم في طرق التجارة العالمية، واستخراج الموارد البحرية، وتطبيق القوانين البحرية، إضافة إلى الوجود العسكري في الفضاءات المائية. ومن خلال هذا التحليل، تكشف الإنسانيات الزرقاء أن البحر ليس مجرد مسرح للأحداث الجيوسياسية، بل فاعل مادي وثقافي يعيد تشكيل العلاقات بين الدول والمجتمعات والبيئات الساحلية.

الهجرة والذاكرة عبر البحار

تشكل البحار أيضًا فضاءات مركزية لحركات الهجرة والشتات الثقافي، حيث لعبت المحيطات دورًا تاريخيًا في نقل البشر والأفكار والثقافات عبر القارات. وقد أبرزت دراسات الإنسانيات الزرقاء كيف تعمل البحار بوصفها أرشيفات للذاكرة الجماعية المرتبطة بتاريخ العبودية والهجرة والتبادل الثقافي عبر الأطلسي والمحيط الهندي (Gilroy, 1993؛ DeLoughrey, 2017). ومن خلال هذا المنظور، يصبح البحر ليس مجرد مسار عبور، بل فضاءً يحمل آثار التجارب الإنسانية المتراكمة، ويعيد تشكيل الهويات والروابط الثقافية، عبر الحدود القومية. وفي هذا السياق، تشير العديد من الدراسات إلى أن المحيطات لا تُعدّ مجرد خلفية جغرافية للهجرة، بل هي عناصر فاعلة في تشكيل التجربة التاريخية والإنسانية نفسها. فقد حملت السفن عبر البحار ملايين البشر في سياقات مختلفة، من تجارة الرقيق عبر الأطلسي إلى الهجرات العمالية والتجارية عبر المحيط الهندي، مما أسهم في نشوء شبكات ثقافية عابرة للقارات. ومن هنا يصبح البحر فضاءً للذاكرة المتحركة، إذ تختزن مياهه قصص المعاناة والاقتلاع، كما تحمل في الوقت ذاته إمكانات التواصل والتبادل الثقافي. كما يفتح منظور الإنسانيات الزرقاء المجال لفهم الهجرة؛ بوصفها تجربة مائية، بقدر ما هي تجربة اجتماعية أو سياسية، حيث تتشكل الهويات الجماعية في سياق الرحلات البحرية والعبور، عبر الموانئ والسواحل. وتكشف هذه المقاربة أن البحار ليست فقط طرقًا للهجرة، بل هي أيضًا فضاءات تُعاد فيها صياغة الانتماءات الثقافية والذاكرة التاريخية، بحيث تتقاطع فيها روايات الألم والنجاة والاختلاط الثقافي، لتُنتج هويات هجينة تتجاوز حدود الدولة القومية.

البنية التحتية المائية والاقتصاد الأزرق

تولي الإنسانيات الزرقاء اهتمامًا متزايدًا بالبنية التحتية المرتبطة بالماء، مثل الموانئ وشبكات المياه والسدود والبنى اللوجستية البحرية، بوصفها عناصر محورية في تشكيل الاقتصاد العالمي والسلطة السياسية. وتشير بعض الدراسات إلى ما يمكن تسميته بـ«الهيدرولوجيا الاستعمارية»، أي الكيفية التي يُعاد بها تنظيم الفضاءات الحضرية والاجتماعية من خلال التحكم في مصادر المياه ومساراتها وإمكانيات الوصول إليها (Dobrin, 2026). ومن هذا المنظور، لا تُفهم البنية التحتية المائية بوصفها عناصر تقنية محايدة، بل بوصفها أدوات لإنتاج أنماط من السيطرة والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي. كما يرتبط هذا النقاش ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الاقتصاد الأزرق، الذي يشير إلى الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالمحيطات والبحار مثل النقل البحري، والصيد، والطاقة البحرية، والسياحة الساحلية، واستغلال الموارد البحرية. وقد بيّنت بعض الدراسات أن الاقتصاد الأزرق لا يقتصر على كونه إطارًا للتنمية المستدامة، بل يمثل أيضًا ساحة للتنافس الجيوسياسي، وإعادة تشكيل علاقات القوة بين الدول والشركات العالمية (Silver et al., 2015؛ Voyer et al., 2018). ومن هنا تسعى الإنسانيات الزرقاء إلى تحليل الخطابات والسياسات المرتبطة بالاقتصاد الأزرق، للكشف عن التوترات القائمة بين أهداف التنمية الاقتصادية والحفاظ على النظم البيئية البحرية وحقوق المجتمعات الساحلية. وتكشف هذه المقاربة أن البنية التحتية المائية- من الموانئ الكبرى إلى شبكات الأنابيب والمنصات البحرية- ليست مجرد أدوات تقنية لخدمة التجارة العالمية، بل هي أيضًا فضاءات تُعاد من خلالها صياغة الجغرافيا الاقتصادية والسياسية للعالم. فالموانئ، على سبيل المثال، تعمل بوصفها نقاط التقاء بين الاقتصاد العالمي والفضاءات المحلية، حيث تتقاطع فيها عمليات العولمة والتجارة البحرية مع قضايا العمل والهجرة والبيئة، مما يجعلها مواقع حاسمة لفهم العلاقة بين الماء والسلطة والاقتصاد في العصر المعاصر.

السياسات البيئية وحوكمة المحيطات

مع تزايد التحديات البيئية المرتبطة بالمحيطات، مثل التلوث البحري وتحمّض المحيطات وارتفاع مستوى سطح البحر، تسعى الإنسانيات الزرقاء إلى المساهمة في تطوير سياسات أكثر استدامة لإدارة الموارد البحرية. ويشمل ذلك تعزيز التعاون بين العلوم الطبيعية والإنسانيات الاجتماعية والثقافية من أجل فهم أعمق للعلاقة بين البشر والعوالم المائية (Allison et al., 2020؛ McKinley et al, 2023). ومن خلال هذا التكامل المعرفي، يمكن للإنسانيات الزرقاء أن تسهم في صياغة سياسات بيئية أكثر حساسية للبعد الثقافي والاجتماعي، بما يعزز حماية المحيطات والتنوع البيولوجي البحري على المستوى العالمي (Solnit, 2023؛ Strohmeyer, 2020). كما تؤكد هذه المقاربة أن حوكمة المحيطات لا يمكن أن تعتمد على الحلول التقنية أو العلمية وحدها، بل تحتاج أيضًا إلى فهم الأبعاد الثقافية والأخلاقية والسياسية المرتبطة باستخدام البحار ومواردها، إذ ترتبط قرارات إدارة المصايد البحرية، وحماية الشعاب المرجانية، وتنظيم الملاحة واستخراج الموارد بقضايا العدالة البيئية وحقوق المجتمعات الساحلية والأصلية التي تعتمد على البحار في سبل عيشها. ومن هنا تدعو الإنسانيات الزرقاء إلى نماذج حوكمة تشاركية، تأخذ في الاعتبار المعارف المحلية والتقاليد الثقافية إلى جانب المعطيات العلمية الحديثة (Christie et al., 2017؛ Steinberg, 2019)، كما تسهم في توسيع النقاش حول حوكمة المحيطات ليشمل إعادة التفكير في علاقة البشر بالمحيطات بوصفها أنظمة بيئية وثقافية مترابطة، بحيث لا تُفهم المحيطات بوصفها موارد اقتصادية فحسب، بل بوصفها فضاءات للحياة والذاكرة والثقافة، الأمر الذي يستدعي سياسات بيئية تتجاوز منطق الاستغلال نحو مقاربات تقوم على الاستدامة والعدالة البيئية والمسؤولية المشتركة تجاه الكوكب.

رابعاً: الإنسانيات الزرقاء في السياق العربي/ نحو الإنسانيات الزرقاء العربية

مع التوسّع السريع لحقل الإنسانيات الزرقاء خلال العقدين الأخيرين، لم يعد هذا الحقل مقصورًا على إطار نظري عام، بل بدأت تظهر داخله اتجاهات إقليمية متعدّدة، تعكس خصوصيات البيئات البحرية والثقافات المحلية والتجارب التاريخية المختلفة. فقد برزت «الإنسانيات الزرقاء

الأسترالية» (Australian Blue Humanities) التي تركّز على المحيط الهادئ، والاستعمار البحري، وعلاقة السكان الأصليين بالمياه (Newlands & Hansen, 2025). كذلك بدأت تتشكّل «الإنسانيات الزرقاء النوردية» (Nordic Blue Humanities) التي تدرس البيئات البحرية الشمالية وعلاقتها بالتغيّر المناخي والذاكرة البيئية والثقافات الساحلية في الدول الإسكندنافية (Briens, 2026). وفي هذا السياق المتنامي، تبرز الحاجة إلى «إنسانيات زرقاء عربية» امتدادًا نقديًا ومعرفيًا لهذا الحقل العالمي، من خلال إعادة قراءة التاريخ والثقافة والأدب العربي، من منظور بحري ومائي، يعيد الاعتبار للمحيطات والبحار والموانئ والممرات المائية؛ بوصفها فضاءات مركزية في تشكيل العالم العربي وتفاعلاته العابرة للحدود.

لكن حضور الإنسانيات الزرقاء في النقاش الأكاديمي العربي لا يزال غائبا بشكل كبير، على الرغم من أن المنطقة العربية، الممتدة من الخليج إلى البحر الأحمر والبحر المتوسط، توفّر مادة غنية لتوطين حقل الإنسانيات الزرقاء، نظرًا لتشابك الماء فيها مع قضايا السيادة والتجارة والهجرة والذاكرة والاستعمار والبنية التحتية والعدالة البيئية. فهذه التشابكات تفتح إمكانات واسعة لإعادة قراءة التاريخ العربي والثقافة والسياسة في المنطقة، من منظور مائي، يتجاوز النموذج القومي الضيق المتمركز حول اليابسة، ويعيد إبراز الشبكات البحرية التي ربطت الموانئ والمدن العربية ، عبر قرون من التجارة والهجرة والتبادل الثقافي. غير أن ثمة إسهامات أكاديمية عربية ناشئة بدأت تكسر هذا الغياب وتُرسي أسس هذا الحقل في سياقاتها المحلية، و ربما يأتي في مقدمتها هذا البحث بوصفه خطوةً أولى في مسار بناء إنسانيات زرقاء عربية (Arabic Blue Humanities) متجذّرة في سياقاتها المحلية؛ إنسانيات تتميز بأنها لا تكتفي بنقل الأطر النظرية الغربية، بل تسعى إلى توطينها انطلاقاً من مياه المنطقة العربية وذاكرتها وصراعاتها. وبهذا تُسهم في إغناء النقاش الأكاديمي العالمي بصوت عربي يرى الماء بوصفه مرآةً للثقافة والسياسة والهوية.

ومن أبرز هذه البدايات و على الصعيد الأدبي الفلسطيني تحديداً ظهر مفهوم «الإنسانية الزرقاء الفلسطينية» (Palestinian blue humanism) الذي قدمه مؤخراً الأكاديمي الفلسطيني أيمن أبو شومر، بوصفه إطارًا نقديًا يجمع بين النقد البيئي ما بعد الاستعماري والعدالة البيئية و الإنسانيات الزرقاء في قراءته لرواية سوزان أبو الهوى «الأزرق بين السماء و الماء» *(The Blue Between Sky and Water)* من منظور بيئي أخلاقي. ويرى أبو شومر أن الرواية لا تصوّر غزة بوصفها إقليمًا محاصرًا فحسب، بل بوصفها عالمًا بيئيًا مدمَّرًا عمدًا، تتشابك فيه مجتمعات الصيد والأنهار ومخيمات اللاجئين والخيال المحيطي، في نسيج واحد من العنف البطيء والمقاومة الإيكولوجية (Abu-Shomar, 2026, pp. 3 -4). والأهم في هذا السياق أن الدراسة تُقدّم «الإنسانية الزرقاء الفلسطينية» بوصفها موضوعًا ومنهجًا في آنٍ واحد: موضوعًا يعبّر عن أفق أخلاقي متجذّر في الانتماء الهش إلى الشاطئ المحاصر، ومنهجًا يدعو إلى أخذ امتداد غزة البري- البحري بوصفه موقعًا جوهريًا لفهم تشابكات الرأسمالية العرقية والاستعمار الاستيطاني والعنف البيئي (Abu-Shomar, 2026, pp. 11–10). وبهذا يُمثّل هذا العمل نموذجًا استكشافيًا لما يمكن أن تُنتجه الإنسانيات الزرقاء حين تُوطَّن في السياق العربي وتنطلق من مياهه ومشكلاته وسردياته. وفي تطويرٍ لاحق لهذا المفهوم، وسّع أبو شومر بالتعاون مع الأكاديمي وائل جميل سلام أفق «الإنسانية الزرقاء الفلسطينية» ليشمل الأبعاد الجندرية والعابرة للأجيال، مع التركيز على دور المسطحات المائية بوصفها حوامل للذاكرة وأدوات للمقاومة المناهضة للاستعمار. ومن خلال دراسة فضاءَي نهر السقرير والبحر الغزّي، يبيّن الباحثان كيف أسهم الماء في تشكيل الهوية الفلسطينية عبر الزمن؛ فالنهر قبل النكبة يرمز إلى الانسجام الاجتماعي والروحي وإلى الحضور الفلسطيني الأصيل في المكان، لكنه تحوّل بفعل الاستعمار الاستيطاني إلى أرشيف للصدمة والفقد والاقتلاع. أما بحر غزة فيحمل دلالة مزدوجة؛ إذ يشكّل في آنٍ واحد فضاءً للمقاومة والصمود، ومسرحًا لمعاناة النساء وتجاربهن اليومية، قبل أن يتحول تحت وطأة الحصار إلى ما يشبه «السجن المائي» الذي يعكس أشكال العنف الاستعماري المستمرة (Salam & Abu-Shomar, 2026). وبهذا يرسخ الباحثان الماء بوصفه وسيطًا للذاكرة والهوية والعدالة البيئية، ويمنحان مفهوم «الإنسانية الزرقاء الفلسطينية» أبعادًا نسوية وتاريخية أكثر اتساعًا.

وإذا كانت هذه المقاربات تستثمر البُعد الأدبي والنقدي للإنسانيات الزرقاء، فإن المؤرخ الكويتي فهد بشارة (Fahad Bishara) قدم نموذجاً مهماً لدراسة تاريخ الخليج من منظور محيطي، من دون أن يستخدم مصطلح الإنسانيات الزرقاء صراحة. وقد ألف أبحاثا عدة باللغة الانجليزية تتناول تاريخ الخليج من منظور المحيط الهندي، معتمداً على البحر نفسه بوصفه إطاراً للتحليل، وأحياناً على وحدات تحليل أصغر مثل البازارات والأسواق التجارية، والسفن، والوثائق البحرية، والرحّالة أنفسهم/الناخوذة (nakhodas) بوصفهم فاعلين في شبكات الحركة والتبادل. ويستخدم بشارة مصطلح «خليج المحيط الهندي» (Indian Ocean's Gulf) ليؤكد أن تاريخ الخليج يرتبط ارتباطاً تاريخياً عميقاً بعالم المحيط الهندي وشبكاته التجارية والبحرية، أكثر مما يرتبط بالإطار الجغرافي والسياسي الضيق لما يُسمّى بالشرق الأوسط (Bishara, 2017; 2020; 2021; 2022; 2023). وقد تُرجم كتاب بشارة المعنون «بحر من الديون: القانون والحياة الاقتصادية في غرب المحيط الهندي، 1780-1950» إلى العربية على يد المؤرخ البحري الاماراتي أحمد يعقوب المازمي (بشارة، 2023).

وقد تعمّق هذا المنعطف البحري حين أجرى ستة باحثون (المازمي، وفهد بشارة، وتمارا فرناندو، وماندانا ليمبرت، ومايكل كريستوفر لو، ونانسي أُوم) ورشة علمية بعنوان «العربية المحيطية» (Oceanic Arabia)، ناقشت التحول المتزايد في الدراسات حول الخليج والبحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية نحو قراءة محيطية تربط المنطقة بشبكات المحيط الهندي وحركة الناس والبضائع والأفكار، وتستكشف آفاق هذا المنعطف البحري ومصادره الأرشيفية وإمكاناته المستقبلية في دراسة تاريخ المنطقة من منظور بحري أوسع (AlMaazmi et al., 2025). وعلى المستوى اليمني، نجد مبادرات بحثية مثل مشروع اليمن المحيطي (Oceanic Yemen) للباحثة جوخ أمين الشايف (Gokh Amin Alshaif) التي تسعى إلى إعادة التفكير في اليمن من منظور اليمن المحيطي بدل الاقتصار على اليمن الإقليمي المرتبط بإطار دراسات الشرق الأوسط، وذلك عبر توجيه النظر جنوبًا نحو عالم المحيط الهندي. ومن خلال هذا المنظور تظهر شبكات أوسع من التفاعلات مع شرق أفريقيا وجنوب وجنوب شرق آسيا، مما يكشف أدوار فاعلين تاريخيين متنوعين، مثل: التجار الحضارمة، وعاملات الزّار الأفريقيات، وعمال موانئ عدن، وتجار قهوة المخا، ويُبرز اليمن بوصفه فضاءً تاريخيًا متغيرًا ومتشابكًا يتجاوز الحدود التقليدية لدراسات المناطق.

كما بدأت تظهر مبادرات بحثية، تهدف إلى توطين و تطوير هذا الحقل في السياق العربي و منها إسهامات الأكاديمي اليمني محمد محرم التي تشمل طيفًا واسعًا من المقاربات المرتقبة (Muharram, forthcoming a-n)، التي تسعى إلى تطبيق أدوات «الإنسانيات الزرقاء» في السياق العربي؛ حيث يظهر هذا التنوع بدايةً في الأطر المفاهيمية والمنهجية التي يطرحها كتابه «مقدمة في الإنسانيات الزرقاء العربية» *(An Introduction to Arabic Blue Humanities)* (دار بلومزبري) ضمن سلسلة الإنسانيات الزرقاء التي يحررها منتز وأوبيرمان، ويسعى الكتاب إلى تقديم مدخل مفاهيمي؛ لدراسة العلاقة بين الماء والثقافة والسياسة في العالم العربي.

ويتناول كل فصل من فصوله فضاء مائيا عربيا كالبحر الأحمر والمتوسط ونهر النيل ودجلة والفرات وحتى المحيط الهندي، مع التركيز على العلاقة التبادلية بين الانسان العربي وهذه الفضاءات المائية في الأدب والشعر والفن والموسيقى والسياسة والتاريخ وغيرها من مجالات الحياة المختلفة. إضافة إلى ذلك يدرس محرم التاريخ الشفهي والسرد الساحلي في مضيق باب المندب. كما يمتد هذا المنظور البحري ليتتبع قراءة الروابط العابرة للمحيطات كالعلاقات العربية-الأسترالية في الرواية اليمنية، والامتداد المحيطي الهندي في مدينة «المخا» التاريخية، فضلاً عن مقاربة العلاقات العربية-الإيرانية ودراسات الخليج من منظور مائي. وفي سياق متصل، يتناول محرم قضايا الذاكرة والشتات العابر للبحار، عبر تحليل الفضاء السردي والرقمي للشتاتين السوري واليمني في البحر المتوسط، وإعادة قراءة تاريخ «البحارة اليمنيين» في الدراسات العربية الأمريكية، تزامناً مع تقاطع أبحاثه مع «الإنسانيات الخضراء» لبحث الذاكرة البيئية في الرواية العُمانية (أدب جوخة الحارثي)، وتتبع الذاكرة السينمائية للحرب العالمية الثانية من عدن إلى أوروبا. ولا تقتصر هذه المعالجات على الجوانب الثقافية والتاريخية، بل تركز أيضاً على البيئة والعدالة المناخية من خلال دراسة إشكالية «التهجير المناخي» في روايات الخيال العلمي العربي التي تتناول مدناً ساحلية كالإسكندرية، وصولاً إلى فحص تمثيلات الطفولة والذاكرة في سياق الحرب اليمنية ضمن أدب الأطفال المنشور باللغة العربية؛ وهي موضوعات يقدم تنوعها في المجمل إطاراً تطبيقياً يوسع من استخدامات الإنسانيات الزرقاء، كأداة تحليلية لفحص قضايا الهوية والتاريخ والبيئة في المنطقة العربية ومحيطاتها. وتكشف هذه الإسهامات مجتمعةً أن الإنسانيات الزرقاء بدأت تشقّ طريقها في الأكاديميا العربية، وإن ظلّت في بداياتها؛ و يُؤمَل أن يشهد هذا الحقل في المستقبل القريب اهتمامًا متزايدًا في السياق العربي، بما يسهم في توسيع النقاشات العلمية حول الماء والثقافة والسياسة في المنطقة، وفتح آفاق جديدة للبحث والدراسة. وانطلاقًا من هذه البدايات الواعدة، يسعى هذا القسم إلى استكشاف إمكانات توظيف الإنسانيات الزرقاء في قراءة بعض السياقات العربية، مثل: القدس وغزة والبحر الأحمر وباب المندب بوصفها فضاءات تتقاطع فيها المياه مع التاريخ والسياسة والبنية التحتية والاقتصاد، بما يفتح إمكانات جديدة لفهم التفاعلات الاجتماعية والثقافية في المنطقة.

القدس بوصفها فضاءً مائيًا

يمكن إعادة قراءة القدس لا بوصفها فضاءً دينيّاً أو قوميّاً فحسب، بل بصفتها أيضاً فضاءً مائيّاً سيالاً، أو نظام تدفقات هيدرولوجية تتداخل فيه الآبار التاريخية والينابيع مثل عين سلوان مع شبكات الأنابيب الحديثة والبنية التحتية المائية. ففي هذا المنظور، لا تعود البنية التحتية مجرد خدمة تقنية، بل تتحول إلى أداة سيادة تُمارَس من خلالها السلطة، وتُنتَج عبرها أنماط من اللامساواة المكانية والاجتماعية. وقد أشار إريك سوينغيداو (Erik Swyngedouw) إلى أن المدينة يمكن فهمها بوصفها «نتاجًا هيدرولوجيًا-اجتماعيًا»، حيث إن التحكم في تدفق المياه في البيئات الحضرية، يمثل في جوهره ممارسة سياسية، تعكس علاقات القوة والطبقية وأشكال الهيمنة الاستعمارية (Swyngedouw, 2004). ومن هنا تكشف مقاربة الإنسانيات الزرقاء كيف تُعاد هندسة الفضاء الحضري في القدس، من خلال ما يمكن تسميته بالهيدرولوجيا الاستعمارية، أي التحكم في مصادر المياه ومساراتها وإمكانيات الوصول إليها في سياق الاحتلال الإسرائيلي، بما يؤدي إلى إنتاج حدود غير مرئية داخل المدينة نفسها وأنماط من التفاوت في الوصول إلى الموارد الحيوية. وفي هذا السياق، لا يُنظر إلى المدينة بوصفها كتلة معمارية صلبة فحسب، بل بوصفها نظام تدفقات يشمل الماء والطاقة والنفايات والحركة البشرية ورؤوس الأموال، الأمر الذي يضع مسألة اللامساواة المائية في قلب التحليل الحضري: من يحصل على الماء؟ ومن يُحرم منه؟ وكيف تُستخدم البنية التحتية المائية كأداة للتمييز المكاني والاستعماري؟ وتظهر هذه الهيدرولوجيا الاستعمارية بوضوح في التباين بين وفرة المياه في المستوطنات الإسرائيلية مقابل ندرتها في العديد من الأحياء الفلسطينية، حيث يتحول الماء إلى ما يشبه «حدودًا سائلة» تعيد رسم ديموغرافيا المدينة وتعيد تنظيم المجال الحضري. ويمكن قراءة هذه الظاهرة في ضوء مفهوم العنف البنيوي الذي ناقشه روب نيكسون (Rob Nixon) في سياق «العنف البطيء»، حيث يظهر الحرمان من المياه كشكل من أشكال العنف البيئي طويل الأمد المرتبط بالبنى السياسية والاقتصادية للاحتلال، وهو عنف لا يترك آثارًا درامية فورية لكنه يقوّض شروط الحياة اليومية وإمكانيات الاستدامة الحضرية للفلسطينيين (Nixon, 2011). وفي الوقت ذاته، تسمح الإنسانيات الزرقاء بزعزعة القراءة الأرضية الصرفة لفلسطين، بما في ذلك القدس، عبر تجاوز ما يسميه بعض الباحثين بالتمركز الأرضي وإعادة وصل المدينة بالمتوسط وبالتواريخ البحرية وشبكات الحركة الساحلية التي همّشتها السرديات البرية. وفي هذا الإطار، يشير منتز إلى أن تفكيك هيمنة المنطق البري، يسمح برؤية التاريخ بوصفه شبكة من الاتصالات والتدفقات المفتوحة، وهو ما يتيح إعادة فهم فلسطين ليس فقط كأرض متنازع عليها، بل أيضًا كجزء من فضاء متوسطي أوسع من الحركات البحرية والتبادلات الثقافية، الأمر الذي يساعد على تجاوز العزلة الجغرافية والسياسية التي يفرضها الاحتلال، عبر إعادة إدراج فلسطين ضمن شبكات بحرية وتاريخية أوسع (Mentz, 2009). ومن هذا المنظور، تتقاطع الإنسانيات الزرقاء مع دراسات التخطيط الحضري العابر للاستعمار في قراءة المدينة؛ بوصفها فضاءً يتشكل عبر التدفقات -تدفقات ماء وسكان وتجارة ورؤوس أموال- لا عبر الحدود الصلبة وحدها، الأمر الذي يوسّع أفق النقد الحضري بإدخال مفاهيم العدالة المائية والهشاشة البيئية وسياسات البنية التحتية إلى قلب النقاش حول السيادة والحيز في فلسطين، وينقل النقاش من إطار النزاع العقاري الضيق إلى إطار أوسع يتعلق بالحق في الماء والبيئة والحياة الحضرية الكريمة.

غزة: قراءة زرقاء للصراع والسيادة

في السياق الغزّي، لا يمكن اختزال الصراع في حدوده البرية، إذ يتيح منظور الإنسانيات الزرقاء قراءة البحر بوصفه جزءًا من بنية الصراع ذاتها. فالساحل الغزّي يمثل فضاءً تُنتج داخله السلطة عبر التحكم في مدى الإبحار، وحقوق الصيد، والوصول إلى الموارد البحرية، بما يجعل البحر مجالًا لسيادة مقيدة، ومصدرًا للرزق اليومي، وحدًّا أمنيًا مراقبًا، وأفقًا للهجرة، وحيزًا للذاكرة في آن واحد (Dobrin, 2026, p.7; Abu Shomar, 2026, p.3). وفي هذا السياق، يصبح البحر عنصرًا فاعلًا في تشكيل الجغرافيا السياسية للحصار، إذ تُمارَس السيطرة ليس فقط على الأرض والحدود، بل أيضًا على الفضاءات المائية التي تحيط بالمدينة الساحلية. وتفيد كلوويك بأن العلاقة بين الماء والمجتمع علاقة تكوينية متبادلة، أي أن الماء والمجتمع يتخلّقان عبر تفاعلهما لا بوصفهما كيانين منفصلين (Kluwick, 2025, p. 2). وعليه، يصبح البحر في غزة ليس مجرد خلفية جغرافية، بل فاعلًا سياسيًا وثقافيًا يشكّل الحياة اليومية ويعيد تعريف العلاقة بين السيادة والحصار والحركة والرزق. كما تسمح الإنسانيات الزرقاء بقراءة البحر هنا بوصفه مشاعًا مائيًا تُمارَس عليه السلطة من خلال التحكم في الوصول والاستعمال والتمثيل (Dobrin, 2026, p. 7; Abu-Shomar, 2026, pp. 7–8). ويتجلى هذا البعد أيضًا في أحداث مثل أسطول الصمود (Gaza Freedom Flotilla)، حيث لم يكن البحر مجرد ممر جغرافي، بل ساحةً تتقاطع فيها السيادة، والشرعية الدولية، وحرية الملاحة،

والمقاومة الرمزية. ومن منظور الإنسانيات الزرقاء، لا يُقرأ هذا الحدث كواقعة سياسية فحسب، بل بوصفه لحظة تكشف أن البحر ذاته فضاء تفاوض وصراع ومعنى. كما تفتح المقاربة الزرقاء المجال لإعادة التفكير في الروابط التاريخية الأوسع التي ربطت غزة بشبكات بحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، بما في ذلك علاقاتها التاريخية مع اليمن. فقد أشارت بعض الدراسات الأثرية والتاريخية إلى وجود تشابهات لافتة بين أسماء نساء من غزة ظهرت في النقوش أو السجلات الأثرية، وبين أسماء منقوشة على أبواب خشبية ومخطوطات ومكتشفات أثرية في اليمن، الأمر الذي يوحي بإمكانية وجود تواصل تاريخي عبر طرق التجارة البحرية. وتلمّح هذه الشواهد إلى أن البحر لم يكن مجرد حد جغرافي، يفصل بين هذه المناطق، بل كان وسيطًا للحركة والتبادل الثقافي والبشري. ومن هذا المنظور، يمكن قراءة هذه التشابهات بوصفها آثارًا بعيدة لشبكات بحرية قديمة ربطت شرق المتوسط بالبحر الأحمر واليمن عبر مسارات التجارة والهجرة، وهو ما يعزز رؤية الإنسانيات الزرقاء للبحار؛ بوصفها فضاءات اتصال وتفاعل تاريخي تتجاوز الحدود السياسية المعاصرة.

البحر الأحمر وباب المندب: الجيوسياسة المائية في السياق اليمني

يبرز البحر الأحمر، ولا سيما مضيق باب المندب، بوصفه مثالًا واضحًا على ما يمكن تسميته الجيوسياسة الزرقاء، حيث تتقاطع المياه مع السلطة والتجارة العالمية والصراعات الإقليمية. فالمضيق ليس مجرد ممر بحري ضيق يفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، بل يمثل إحدى أهم نقاط الاختناق البحرية التي تربط المحيط الهندي بالبحر المتوسط عبر قناة السويس، مما يجعله عقدة مركزية في سلاسل الإمداد العالمية وتدفقات الطاقة والتجارة الدولية. ومن منظور الإنسانيات الزرقاء، لا يُفهم هذا الفضاء المائي بوصفه فراغًا بين اليابسات، بل بوصفه بنية سياسية واقتصادية تتشكل عبرها علاقات القوة والحركة. وقد أشار فيليب شتاينبرغ (Philip Steinberg) إلى أن البحار ليست مجرد مساحات طبيعية، بل فضاءات اجتماعية وسياسية تُنتَج فيها السلطة عبر تنظيم الحركة البحرية والتحكم في الموارد المائية (Steinberg, 2001). وفي السياق ذاته، يوضح ليام كامبلينغ (Liam Campling) وأليخاندرو كولاس (Alejandro Colás) أن الرأسمالية العالمية اعتمدت تاريخيًا على البحار بوصفها بنية تحتية أساسية لتدفق السلع والطاقة، حيث تشكل الممرات البحرية والمضائق الاستراتيجية عناصر حاسمة في الاقتصاد السياسي العالمي (Campling & Colás, 2021). ومن هذا المنظور، يتحول باب المندب إلى فضاء تتقاطع فيه التدفقات البحرية، والتنافس العسكري، والبنية التحتية العالمية للنقل البحري. غير أن مقاربة الإنسانيات الزرقاء تدفع التحليل إلى ما هو أبعد من الجغرافيا الاستراتيجية، إذ تسلط الضوء أيضًا على العلاقة بين البحر والمجتمعات الساحلية والبيئات البحرية. فالمياه هنا ليست مجرد ممر للتجارة أو مسرح للتنافس العسكري، بل فضاء معيشة وثقافة وذاكرة لمجتمعات البحر الأحمر، بما في ذلك المجتمعات اليمنية التي ارتبط تاريخها بالبحر عبر الصيد والتجارة والهجرة. وفي هذا الإطار، تؤكد إليزابيث ديلوغري (Elizabeth DeLoughrey) أن المحيطات تكشف عن تاريخ طويل من التفاعلات بين البيئة والسياسة والاستعمار، حيث تتداخل الحركات البحرية مع شبكات السلطة والاقتصاد والثقافة (DeLoughrey, 2017). وعليه، يكشف المثال اليمني أن السلطة لا تُمارَس فوق الماء فحسب، بل من خلاله، وأن المضائق البحرية ليست مجرد تفاصيل جغرافية، بل بنى مركزية تعيد تشكيل خرائط القوة العالمية وتؤثر مباشرة في الحياة اليومية للمجتمعات الساحلية وفي التوازنات السياسية والاقتصادية الإقليمية. وبهذا المعنى يتيح باب المندب قراءة يمنية وعربية للإنسانيات الزرقاء، تربط بين الجغرافيا البحرية والحرب والتجارة والذاكرة الساحلية، وتدعو إلى دراسات لاحقة أكثر تفصيلًا حول الصيادين، والموانئ، والتهريب، والهجرة، والبيئة البحرية في البحر الأحمر.

الخاتمة

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن سؤال مركزي طالما غاب عن النقاش الأكاديمي العربي: ما الذي يمكن أن تضيفه الإنسانيات الزرقاء إلى فهمنا للماء؛ بوصفه فضاءً للثقافة والسياسة والذاكرة والصراع في المنطقة العربية؟ وقد كشفت المقاربات التطبيقية التي اقترحها البحث -من القدس بحقولها الهيدرولوجية الاستعمارية، إلى غزة بشاطئها المحاصر وصياديها المكبَّلين، إلى باب المندب بجيوسياسته المائية المتشابكة- أن الماء في السياق العربي ليس عنصراً طبيعياً محايداً، بل بنية سياسية وثقافية وأخلاقية تُشكّل الحياة اليومية وتُنتج أنماط الهيمنة والمقاومة على حدٍّ سواء. وقد تبيّن أن الإنسانيات الزرقاء توفّر أدوات تحليلية قادرة على تجاوز النماذج المتمركزة حول اليابسة والدولة القومية، وتُتيح إعادة قراءة التاريخ العربي والأدب والجغرافيا السياسية من منظور مائي يكشف ما تحجبه الحدود البرية عن الأنظار: الشبكات البحرية التاريخية، والذاكرة الساحلية، وأشكال العنف البيئي المائي، والهويات المحيطية التي صنعتها حركة الناس والبضائع والأفكار عبر البحار.

غير أن هذا البحث لا يدّعي الاستيفاء؛ فهو خطوة أولى في مسار أطول يحتاج إلى دراسات عربية متخصصة تتناول كل فضاء مائي بعمق أكبر: النيل وسياسات المياه الأفريقية، والخليج وتاريخه المحيطي الهندي، والمتوسط وسردياته الاستعمارية وما بعد الاستعمارية، واليمن بحضارته الساحلية المنسية. ويظل غياب الإنسانيات الزرقاء عن الكتابة الأكاديمية العربية تحدياً معرفياً يستدعي استجابة جماعية من الباحثين والباحثات العرب في الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية والدراسات البيئية-استجابةً لا تكتفي باستيراد الأطر الغربية؛ بل تُغنيها وتُساءلها وتُعيد توطينها انطلاقاً من خصوصية المياه العربية وذاكرتها وصراعاتها.

المراجع

المراجع العربية

- بشارة، فهد أحمد. (٢٠٢٣). *بحر من الديون: القانون والحياة الاقتصادية في غرب المحيط الهندي، ١٧٨٠–١٩٥٠*. ترجمة أحمد يعقوب المازمي، دار المحيط للنشر.

- محرم، محمد. (مرتقب ٢٠٢٦). عين بثينة: قراءات في تمثيل الطفولة والذاكرة في حرب اليمن من منظور الإنسانيات الزرقاء. *طيف*. مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

المراجع الأجنبية

- Abu-Shomar, A. (2026). Palestinian blue humanism: ecocritical ethics and environmental violence in Susan Abulhawa's *The Blue Between Sky and Water. Cogent Arts & Humanities,* 13(1), Article 2670157. https://doi.org/10.1080/23311983.2026.2670157.

- Alaimo, S. (2010). *Bodily natures: Science, environment, and the material self*. Indiana University Press.

- Alaimo, S. (2019). Introduction: Science studies and the blue humanities. *Configurations*, 27(4), 429–432. https://dx.doi.org/10.1353/con.2019.0028.

- AlMaazmi, A. Y., Bishara, F. A., Fernando, T., Limbert, M., Low, M. C., & Um, N. (2025). Oceanic Arabia: A roundtable. *Monsoon: Journal of Indian Ocean Rim*, 3(2), 125–137. https://doi.org/10.1215/2834698X-11954462.

- Allison, E. H., Kurien, J., Ota, Y., Adhuri, D. S., Bavinck, J. M., Cisneros-Montemayor, A., Fabinyi, M., Jentoft, S., Lau, S., Mallory, T. G., Olukoju, A., van Putten, I., Stacey, N., Voyer, M., & Weeratunge, N. (2020). The human relationship with our ocean planet. *World Resources Institute*. https://oceanpanel.org/publication/human-relationship-our-ocean-planet/.

- Bailey-Charteris, B. (2024). *The Hydrocene: Eco-aesthetics in the age of water*. Routledge.

- Bakker, J. (forthcoming 2026). Blue religion. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.

- Bakker, J. M. (2019, November 6). Offshore: Descending into the Blue Humanities. *Counterpoint: Navigating Knowledge.* http://www.counterpointknowledge.org/offshore-descending-into-the-blue-humanities/.

- Biro, A. (2013). River-adaptiveness in a globalized world. In C. Chen, J. MacLeod, & A. Neimanis (Eds.), *Thinking with water* (pp. 166–184). McGill-Queen's University Press.

- Bishara, F. (2017). *A sea of debt: Law and economic life in the Western Indian Ocean, 1780–1950*. Cambridge University Press.

- Bishara, F. (2020). The many voyages of Fateh Al-Khayr: Unfurling the Gulf in the age of oceanic history. *International Journal of Middle East Studies*, 52(3), 397–412. https://doi.org/10.1017/S0020743820000367.

- Bishara, F. (2021). History at sea: Route and world on an Indian Ocean dhow. *Matatu*, 52, 9–34. https://doi.org/10.1163/18757421-05201001.

- Bishara, F. (2022). Circulation and capitalism in a maritime bazaar: Notes from a pearl merchant's chest. *Comparative Studies in South Asia, Africa and the Middle East*, 24(1), 107–117. https://doi.org/10.1215/1089201X-9698138.

- Bishara, F. A. (2023). The Sailing Scribes: Circulating Law in the Twentieth-Century Indian Ocean. *Law and History Review*, 41(3), 587–604. https://doi.org/10.1017/S0738248022000402.

- Blackstock, M. (forthcoming 2026). Blue ecology. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.

- Blum, H. (2010). The Prospect of Oceanic Studies. *PMLA/Publications of the Modern Language Association of America*, 125(3), 670–677. https://doi.org/10.1632/pmla.2010.125.3.670.

- Blum, H. (2013). Introduction: oceanic studies. *Atlantic Studies*, 10(2), 151–155. https://doi.org/10.1080/14788810.2013.785186

- Braverman, I., & Quist, S. (forthcoming 2026). Blue law. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), The *Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.

- Brayton, D. (2012). *Shakespeare's ocean: An ecocritical exploration*. University of Virginia Press.

- Briens, S. (2026). *Nordic Blue Humanities*. https://www.etudes-nordiques.fr/nordic-blue-humanities/

- Brinkman, J. E., Dorius, B., & Sharma, S. (2023). Physiology, body fluids. In *StatPearls*. StatPearls Publishing. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK482447/.

- Bubandt, N. (forthcoming 2026). Blue anthropology. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), The *Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.
- Buchanan, I., & Jeffery, C. (2019). Towards A Blue Humanity. *Symploke*, 27(1-2), 11–14. https://www.proquest.com/scholarly-journals/towards-blue-humanity/docview/2311126155/se-2?accountid=14136.
- Campling, L., & Colás, A. (2021). *Capitalism and the sea: The maritime factor in the making of the modern world*. Verso.
- Chen, C., MacLeod, J., & Neimanis, A. (Eds.). (2013). *Thinking with water*. McGill-Queen's University Press.
- Christie, P., Bennett, N. J., Gray, N. J., Wilhelm, T. A., Lewis, N., Parks, J., Ban, N. C., Gruby, R. L., Gordon, L., Day, J., Taei, S., & Friedlander, A. M. (2017). Why people matter in ocean governance: Incorporating human dimensions into large-scale marine protected areas. *Marine Policy*, 84, 273–284. https://doi.org/10.1016/j.marpol.2017.08.002.
- Cohen, J. J., & Duckert, L. (Eds.). (2015). *Elemental Ecocriticism: Thinking with Earth, Air, Water, and Fire*. University of Minnesota Press.
- Cohen, M. (2010). Literary Studies on the Terraqueous Globe. *PMLA*, 125(3), 657–662. http://www.jstor.org/stable/25704462.
- De Wolff, K., Faletti, R. C., & López-Calvo, I. (Eds.). (2022). *Hydrohumanities: Water discourse and environmental futures*. University of California Press.
- DeLoughrey, E. (2017). *Allegories of the Anthropocene*. Duke University Press.
- DeLoughrey, E. (2017). Submarine futures of the Anthropocene. *Comparative Literature*, 69(1), 32–44. https://doi.org/10.1215/00104124-3794589.
- Dobrin, S. I. (2021). *Blue ecocriticism and the oceanic imperative*. Routledge.
- Dobrin, S.I. (2026). Blue Humanities. In: *Encyclopedia of the Anthropocene*. Springer, Cham. https://doi.org/10.1007/978-3-031-51703-7_106-1.
- Foley, P., & Silver, J. J. (Eds.). (2026). *Routledge handbook of critical ocean studies*. Routledge.
- Foulke, R. (1997). *The sea voyage narrative*. Routledge.
- Frank, S. (2022). *A poetic history of the oceans: Literature and maritime modernity*. Brill.
- Gillis, J. R. (2011). Filling the Blue Hole in Environmental History. *RCC Perspectives*, 3, 16–18. http://www.jstor.org/stable/26240275.
- Gilroy, P. (1993). *The Black Atlantic: Modernity and double consciousness*. Harvard University Press.
- Glissant, E. (1997). *Poetics of relation* (B. Wing, Trans.). University of Michigan Press.
- Haraway, D. J. (2016). *Staying with the trouble: Making kin in the Chthulucene*. Duke University Press.
- Harris, D. (forthcoming 2026). Blue linguistics. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.
- Hau'Ofa, E. (2008). *We are the ocean: Selected works*. University of Hawai'i Press.
- Hofmeyr, I. (2012). The complicating sea: The Indian Ocean as method. *Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East*, 32(3), 584–590. https://doi.org/10.1215/1089201X-1891579.
- Hofmeyr, I. (2019). Literary ecologies of the Indian Ocean. *English Studies in Africa*, 62(1), 1–7. https://doi.org/10.1080/00138398.2019.1629677.
- Horden, P., & Purcell, N. (2006). The Mediterranean and "the new thalassology." *The American Historical Review*, 111(3), 722–740. https://www.jstor.org/stable/10.1086/ahr.111.3.722.
- Iovino, S., & Oppermann, S. (2014). Introduction: Stories come to matter. In S. Iovino & S. Oppermann (Eds.), *Material ecocriticism* (pp. 1–17). Indiana University Press.
- Jue, M. (2020). *Wild blue media: Thinking through seawater*. Duke University Press.
- Jue, M. (forthcoming 2026). Blue philosophy. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.
- Jue, M., & Ruiz, R. (Eds.). (2021). *Saturation: An elemental politics*. Duke University Press. https://doi.org/10.1215/9781478013044.
- Kluwick, U. (2025). Blue humanities. In *The living handbook of environmental humanities* (pp. 1–6). Springer. https://doi.org/10.1007/978-3-662-70886-6_14-1.

- Lavery, C. (2019). Antarctica and Africa: Narrating alternate futures. *Polar Record*, 55(5), 347–350. https://doi.org/10.1017/S0032247419000743.
- Lavery, C. (2021). *Writing ocean worlds: Indian Ocean fiction in English*. Palgrave Macmillan.
- McKenzie, M. (forthcoming 2026). Blue history. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.
- McKinley, E., Burdon, D., & Shellock, R. (2023). The evolution of ocean literacy: A new framework for the United Nations Ocean Decade and beyond. *Marine Pollution Bulletin*, 186, 114467.
- Mentz, S. (2009). Toward a blue cultural studies: The sea, maritime culture, and early modern English literature. *Literature Compass*, 6(5), 997–1013. https://compass.onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1111/j.1741-4113.2009.00655.x.
- Mentz, S. (2019). *Break up the Anthropocene*. University of Minnesota Press.
- Mentz, S. (2020). *Ocean*. Bloomsbury Academic.
- Mentz, S. (2023). A poetics of planetary water: The blue humanities after John Gillis. *Coastal Studies & Society*, 2(1), 137–152. https://doi.org/10.1177/26349817221133199.
- Mentz, S. (2024). *An introduction to the Blue Humanities*. Routledge.
- Muharram, M. (2025). Making the invisible visible: How the Blue Humanities translate climate change to the public. *Public Humanities*, 1, e120, 1–22. https://doi.org/10.1017/pub.2025.10046.
- Muharram, M. & K. Knopf (forthcoming 2026a). Blue postcolonialism. In S. Mentz, M. Muharram, S. Oppermann, & S. Young (Eds.), *The Bloomsbury handbook to the Blue Humanities*. Bloomsbury.
- Muharram, M. (forthcoming 2026b). *Arabic Blue Humanities: An introduction*. Bloomsbury.
- Muharram, M. (forthcoming 2026c). Voices of Bab al-Mandab: Oral poetry and coastal storytelling as participatory Blue Humanities methodologies. In E. McKinley & K. Alexander (Eds.), *Handbook on innovative marine social sciences.* Edward Elgar Publishing.
- Muharram, M. (forthcoming 2026d). Centring peripheries, transcending boundaries through the Blue Humanities: Arab Australian oceanic encounters in fiction on Yemen. In *The Palgrave Handbook of Global Oceanic Encounters*. Palgrave Macmillan.
- Muharram, M. (forthcoming 2026e). Memory studies and the Blue Humanities: The Mediterranean as a narrative nexus in Syrian and Yemeni diaspora's transmedia postdigital storytelling. In *Writing diaspora in the 21st century: Transmedial passages in postdigital times*. Brill.
- Muharram, M. (forthcoming 2026f). Re-imagining Arab American studies from a Blue Humanities perspective: Yemeni sailors as a case study. In *Re-Imagining Arab American Studies*. University of Texas Press.
- Muharram, M. (forthcoming 2026g). When the land meets the sea: Green and Blue Humanities perspectives on eco-diaspora and environmental memory in Jokha Alharthi's *Celestial Bodies*. In *Green Humanities*. Authorspress.
- Muharram, M. (forthcoming 2026h). From Aden to Europe via transoceanic currents: A comparative Blue Humanities reading of cinematic global memory of war. In *World War II – Through the Eyes of the Arts of the World*. Fink Publishing.
- Muharram, M. (forthcoming 2026i). Two futures for Alexandria: Blue Humanities, climate displacement, and Arabic climate fiction. *Public Humanities*.
- Muharram, M. (forthcoming 2026j). Blue postcolonialism and climate change in Arabic fiction. In *Encyclopedia of the Anthropocene*. Springer.
- Muharram, M. (forthcoming 2026k). Arabic Blue Humanities and the Indian Ocean in *Mocha City* (2022) and In *an Antique Land* (1992). *Journal of South Asian Studies*.
- Muharram, M. (forthcoming 2026l). Oceanic borderlands and Arabic Blue Humanities: Reading Yemen's *Mocha City.* In F. Bille (Ed.), *Intersections*. Oxford University Press.
- Muharram, M. (forthcoming 2026m). Applying Blue Humanities to Gulf studies through the Yemeni novel *Mocha City*. Al-*Muntaqa: New Perspectives on Arab Studies*. Doha Institute for Graduate Studies.
- Muharram, M. (forthcoming 2026n). Iran–Arab relations through the Blue Humanities. *Siyasat Arabiya*. Doha Institute for Graduate Studies.

- Neimanis, A. (2017). *Bodies of water: Posthuman feminist phenomenology*. Bloomsbury Academic.
- Neimanis, A. (2024). Foreword. In T. Shefer, V. Bozalek, & N. Romano (Eds.), *Hydrofeminist thinking with oceans: Political and scholarly possibilities*. Routledge.
- Newlands, M., & Hansen, C. (Eds.). (2025). Routledge environmental humanities. *Critical approaches to the Australian blue humanities*. Routledge Taylor & Francis Group.
- Oppermann, S. (2013). Enchanted by Akdeniz: The Fisherman of Halicarnassus's narratives of the Mediterranean. *Ecozon@: European Journal of Creative Writing and Nature*, 4(2), 100–116. https://doi.org/10.37536/ECOZONA.2013.4.2.531.
- Oppermann, S. (2023). *Blue humanities: Storied waterscapes in the Anthropocene*. Cambridge University Press.
- Oruc, F. (2022). Thalassological worldmaking and literary circularities in the Indian Ocean. *Comparative Literature*, 74(2), 147–155. https://doi.org/10.1215/00104124-9543818.
- Perez, C. S. (2020). "The Ocean in Us": Navigating the Blue Humanities and Diasporic Chamoru Poetry. *Humanities, 9(3),* 66. https://doi.org/10.3390/h9030066.
- Preethamol, M. K. (2026). Discourse on the poetics of planetary water: A study on blue humanities. *Literary Voice*, 26(1). https://doi.org/10.59136/lv.2026.26.1.43.
- Price, R. (2017). Afterword: The last universal commons. *Comparative Literature*, 69(1), 45–53. https://doi.org/10.1215/00104124-3794599.
- Salam, W. J., & Abu-Shomar, A. (2026). Decolonizing the Blue Humanities: The Palestinian journey of displacement, expulsion and homelessness in Susan Abulhawa's *The Blue Between Sky and Water. Arab Studies Quarterly*, 48(1), 5–27. https://doi.org/10.13169/arabstudquar.48.1.0002.
- Samuelson, M. (2022). The blue Anthropocene and the oceanic south: Reading containerisation and inundation diffractively. In *Water lore* (1st ed., pp. 147–154). Routledge.
- Silver, J. J., Gray, N. J., Campbell, L. M., Fairbanks, L. W., & Gruby, R. L. (2015). Blue economy and competing discourses in international oceans governance. *The Journal of Environment & Development*, 24(2), 135–160. https://doi.org/10.1177/1070496515580797.
- Steinberg, P. E. (2001). *The social construction of the ocean*. Cambridge University Press.
- Steinberg, P., & Peters, K. (2015). Wet ontologies, fluid spaces: Giving depth to volume through oceanic thinking. *Environment and Planning D: Society and Space*, 33(2), 247–264. https://doi.org/10.1068/d14148p.
- Stephens, M., & Martínez-San Miguel, Y. (Eds.). (2020). *Contemporary archipelagic thinking: Toward new comparative methodologies and disciplinary formations*. Rowman & Littlefield.
- Stratford, E., Baldacchino, G., McMahon, E., Farbotko, C., & Harwood, A. (2011). Envisioning the archipelago. *Island Studies Journal*, 6(2), 113–130. https://doi.org/10.24043/isj.253.
- Swyngedouw, E. (2004). *Social power and the urbanization of water: Flows of power*. Oxford University Press.
- Tvedt, T. (2021). *Water and society: Changing perceptions of societal and historical development*. I.B. Tauris.
- Valandra, E., Estes, N., & Dhillon, J. (2019). Mni Wiconi: Water is [more than] life. In N. Estes & J. Dhillon (Eds.), *Standing with Standing Rock*: Voices from the #NoDAPL movement (pp. 71–89). University of Minnesota Press.
- Voyer, M., Quirk, G., McIlgorm, A., & Azmi, K. (2018). Shades of blue: What do competing interpretations of the Blue Economy mean for oceans governance? *Journal of Environmental Policy & Planning*, 20(5), 595–616. https://doi.org/10.1080/1523908X.2018.1473153.
- Williams, R. (2013). *The fisherman of Halicarnassus: The man who made Bodrum famous*. Bristol Book Publishing.
- Winkiel, L. (Ed.). (2019). Hydro-criticism. *English Language Notes*, 57(1). https://doi.org/10.1215/00138282-7309633.
- Yaeger, P. (2010). Editor's column: Sea trash, dark pools, and the tragedy of the commons. *PMLA*, 125(3), 523–545. https://www.jstor.org/stable/25704454.